NDU Spirit نشرة دوريّة
حول علامات الحياة
في عالم جامعة سيّدة اللويزة
تصدر عن مكتب العلاقات العامّة.

آذار ٢٠٠٣ العدد ٢٧

هيئة استشارية
عمداء الكليّات

رئيس التحرير
جورج مغامس

التحرير بالانكليزيّة
كينيث مورتيمر

تتبُّع أنشطة
غادة معوّض

مشاركة
مندوبو الكليّات والأندية الطلاّبيّة

إخراج
تكنوپوب

طباعة
مطابع معوشي وزكريّا

جامعة سيّدة اللويزة
زوق مصبح: هاتف:٥/٤/٢/١/٢١٨٩٥٠(٠٩)
برسا: هاتف:٧٤٩٤٠٢ (٠٣) – ٣/٢/١٠١/٤١٦١٠١(٠٦)
دير القمر: هاتف: ٦/٥/٤/٥١١٢٠٢(٠٥)

www.ndu.edu.lb/newsandevents/nduspirit

في العدد

تموّز منّا، وفي كلّ عام يحجّ إلى مقام صلاح الدين	جورج مغامس	٢
دولة الغد.. أيّة رؤى؟	حلقة دراسيّة	٣
الثقافة والمثقّف في لبنان	حلقة دراسيّة	٦
التراث الموسيقيّ المحلّيّ في لبنان	حلقة دراسيّة	١٠
اللّغة العربيّة.. إلى أين؟	حلقة دراسيّة	١٤
«كتاب الالهيّات» للسمعانيّ		١٨
أربعون الأباتي بطرس فهد		٢٢
أبعاد الحرب على العراق	د. عدنان السيّد حسين	٢٨
.. بل الآخرون هم الجنّة	د. عقل كيروز	٣١
يجب	إدمون رزق	٣٤
التقاليد الدينيّة في مجتمع النبطيّة	سمير شاهين	٣٤
اللغة اللاتينيّة: واقعها وخصائصها	أنطوان ي. صفير	٣٧
جرجس صفا نعمه	د. مارون رعد	٤١
والدي كما عرفته	ابراهيم يوسف يزبك	٤٢
يوم مع جدّي	د. فيفيان يوسف نعيمه	٥١
رفيف الذاكرة	د. منصور عيد	٥٣
وماذا لو كنت محتاجاً يابونام...؟	أنور صابر	٥٤
تلتقيهم.. لسانهم عدوّ لعقولهم	الأب بطرس بوناصيف	٥٥
نور سلمان في «فجرٌ للغضب»	جورج مغامس	٥٧
الرسالة الحقّة في «مهبّ الروح»	عبده لبكي	٥٨
مريم	د. منى كرم	٦٠
هالإمّ – شهادة.. حبّ – مستهامة	لويس ب نصر	٦١
من منشورات الجامعة		٦٢

دولـــة الـغــد.. أيّــة رؤى؟

"دولة الغـد... أيّـة رؤى؟" هو عـنوان لبحث ومؤتـمر. البحث تقوم به جامعة سيّدة اللويزة منذ سنة ١٩٩٤ بإشراف وإدارة السيّد عبدو القاعي حول مواضيع الشـأن الـعـام "Respublica"، أي الـخـيـر الـعـامّ كـمشروع للجمهوريّة، والذي كان له محطّات متعدّدة حول هموم وأحلام المواطن في ما يتعلّق بأمور حياته العامّة: من الأمور الـخـدمـاتـيّـة إلـى الأمور الـتـربـويّـة فـالأمور الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسياسيّة والثقافيّة.

على مدى سنوات عشر تمّ إجراء حوالى سبعة وعشرين بحثاً، وصولاً إلى هذا المؤتمر الذي تطرّق إلى موضوع الـدولـة: الـدولـة كـمؤسّـسـة الـشـأن الـعـامّ، أو الـدولـة المـؤسّـسـة الـتي تـديـر أمور الساحة العامّة، أو الدولة المؤسّسة العامّة التي تضمن المساحات العامّة للحياة: الحياة الخاصّة والحياة الجماعيّة.

انعقد المؤتمر الذي نظّمته جامعة سيّدة اللويزة، في ٢٤ كانون الثاني ٢٠٠٣، بحضور وزير التّنمية الإداريّة فؤاد السـعـد ووزيـر الـدولـة بـشـاره مرهـج، والـنّـوّاب بطـرس حـرب ومصـبـاح الأحـدب ونـعـمـة الله أبي نـصـر وعـبّـاس الهـاشـم، ورئـيـس مجلس ادارة - مدير عامّ بنك بيبلوس د. فـرانـسـوا بـاسـيـل ومـديـر عـامّ مـؤسّـسـة الاسـتـخـدام موسى جدعون وأمين سرّ المجلس الوطنيّ للطفولة د. إيلي مخايل، وحوالى مئة باحث واختصاصيّ وتربويّ وعامل في الحقل السياسيّ والإداريّ.

وطرح أربعة مواضيع للبحث والنقاش هي بمثابة أربع إشكاليّات تستأهل الحوار والاستكشاف والاستشراف، وذلك وفق البرنامج الآتي:

الافتتاح

كلمة رئيس جامعة سيّدة اللويزة **الأب بطرس طربيه**

كلمة وزير التنمية الإداريّة **فؤاد السعد**

كلمة رئيس مجلس إدارة - مدير عامّ بنك بيبلوس **د. فرنسوا باسيل**

إشكاليّة المؤتمر: دولة لمجتمع أم مجتمع لدولة، كيف نعيد بناء المواطنة؟ آراءٌ ورؤىً

الباحث عبدو القاعي

المحور الأوّل

الموضوع: **سلطة الدولة بين اللامركزيّة والعولمة**

الرئيس: **الوزير بشارة مرهج**

المحاضرون: د. ميشال نعمة: التوجّهات العالميّة المعاصرة

أ. د. أنطوان مسرّه، د. جورج لبكي: الحالة اللبنانيّة: الوضع الراهن ونافذة إلى المستقبل

المحور الثّاني

الموضوع: **السلم الأهليّ في عصر اللاحدود**

الرئيس: **النائب بطرس حرب**

المحاضرون: النائب نعمة الله أبي نصر،

د. نعيم سالم: الإشكاليّة الأمنيّة: رقابة بلا حدود أم مواطنة القريب والغريب... وكيف؟

النائب عبّاس هاشم: الإشكاليّة السياسيّة: سيادة الأوطان أم سيادة المجتمعات... وكيف؟

د. فيفيان نعيمة: الإشكاليّة الاجتماعيّة الاقتصاديّة: رأسماليّة الاستثمار والاستهلاك أم رأسماليّة التثمير والتوفير؟

د. هلال خشّان: الإشكاليّة الثقافيّة: أوطان ثقافويّة أم ثقافة انسانيّة مجتمعيّة؟

المحور الثّالث

الموضوع: **الشأن العامّ في عصر الخصخصة. هل من أمل في دولة قادرة على ضمان الحقوق: التوجّهات العالميّة والحالة اللبنانيّة**

الرئيس: **النائب مصباح الأحدب**

المحاضرون: د. غازي يوسف: في ضمان الخدمات العامّة للجميع

المحامي صباح مطر: في ضمان التربية للجميع

أ. موسى جدعون: في ضمان العمل للجميع

جورج مغامس

تمّوزُ منّا

وفي كلّ عام يَحجُّ إلى مَقام صلاح الدين

في اليوم الثالث، من الأسبوع الثالث، من الشهر الثالث، من السنة الثالثة، من الألفيّة الثالثة، تُرانا بتنا على شَفا الحرب العالميّة الثالثة؟!

هذا السؤال أملته الحربُ على العراق، عراقِ الحضارات: السومريّة والأشوريّة والكلدانيّة والبابليّة والعبّاسيّة، وعراقِ الطوائف والمذاهب والقوميّات، وعراقِ النفط والغاز وغابات النخيل، وعراقِ مُفاعل تمّوز وأخواته وسائر اجتهادات العلماء، وعراقِ المربد والنجف وكربلاء... عراقِ الثروات والثورات...

والسؤالُ ما كان ليكونَ لولا الضجّةُ الكبرى، استثارتها مبادئُ ومصالحُ في حَشا دول العالم من أقصاه إلى أقصاه، بعد الذي فعل ابنُ جَلا العصر: الحَجّاجُ بن بوش!

فالرّجلُ، وقد وضع العمامةَ، عرفناه يملأ زئيرُه الفراتَ والنيلَ، يَنصبُ لابراهيمَ خيمةَ موسى، فوق قبّةِ الأمم من حارانَ إلى كنعان، ولا يَرعوي!.. يُجري النفطَ من الموصل إلى حيفا.. وماءَ النهرين أيضاً، يَصلُ ذيّاكَ التَرياقَ برَيع تكساس ووول ستريت، يَستوي على عرش الدنيا ويَجعلُ يدَه فوق أيديها!.. فما الأكاسرةُ والقياصرةُ وسلاطينُ بني عثمان... ما آلهةُ الأرض؟!

إنْ لم تكنْ معي فأنتَ ضدّي- كذلك حدّثنا هو، مَن هو حديثُ الأمم اليوم، وقد خرج على كلمتها السَويّة وحَشرها بين مواقفه وقواذفه؛ وهو، لو أنصتَ إلى التاريخ وأنصف، لما ادّعى وعَتا، بل داوى كلَّ داءٍ بدوائه، فأَعفى نفسَه وأَعفانا من البنلادنيّة وتداعياتها وما سَبق ولَحق من «جهاديّاتٍ» مُريبة.

بلى. هو كَيلُه بمكيالين، أباً عن جَدّ ومَن شَابه وجَانس، ما شَوّه الحقَّ والحقيقة، فتولّدتْ مُسوخٌ من سُنن وشَرائعَ، أنتجتْ إرهاباً وإرهابيّين، اختلَط منها حابلُ المستجير من النار بالرّمضاء بنابل ما جَنته بَراقشُ على نفسها، فوضعَ العالَمُ يدَه على قلبه وكاد يَتساقطُ...

هُمُ الصنائعُ تَمرّدوا وتَفرّدوا أوكَفى أربابَهم أنّهم أدّوا قسطَهم لعللِهم، فإذا ملءُ الأسماع والعيونِ نحيبٌ وأشلاءٌ... وأحرارٌ يطلبونَ العزَّ في لَظىً. أفَما لهذا الطغيان، يَركبُ الجوَّ والبحرَ والبرّ، من آخِر؟ وإلى متى يَبقى يَزرعُ الرياحَ ويَحصدُ العواصف؟.. إلى متى هذه الآلامُ والأحزان؟!

لا. ليس من أجل الحرب الأولى والحرب الثانية، ولا من أجل قتلى حَلَبْشَة والمهجّرين والمنفيّين والثائرين والمعارضين، جاؤوا العراقَ.

ومَن يصدّق أنّ القضاءَ على «النظام» يكون بالقضاء على الناس، وأنّ الحريّةَ المنشودة والديمقراطيّةَ المطلوبة وَصْفةٌ عسكريّة وكَيٌّ وكَيد...أنّ الحياةَ تُعطى بالموت؟!

لقد جاؤوا العراقَ، ومَن يتجاهلُهم لا يَجهلُهم، لأبعدَ من العراق. للمنطقة. لقُطبيّتهم وحَسْب، ولا شَريك...

جاؤوه بعد أن أنهكوه. ولن يبرحوه.

فغداً، وغداً لِناظره قريب، نِطاحٌ وكِفاحٌ ونَزفُ جراح.

غداً، تَمحورُ قوىً ومصالح.

غداً، ذَرٌّ قرونٍ كبرى في وجه أُحاديّة عظمى.

غداً، العالمُ، أوضحَ، نصفان...، ومَن يدري: أيّةُ رعونةٍ تَقودُ إلى سخونة، وأيّةُ سخونةٍ تُودي إلى براكين!

إنّهم، وإنْ كانوا يظنّون أنّهم أدرى بما يَفعلون، فإنّهم يجهلون ما الذي سيُواجهون، وما به سيَتسبّبون. فالشرقُ، من بغدادَ العصيّة إلى بيروته الأبيّة، بأنبيائه وشعرائه وشهدائه...، زلزالاً سيكون. وتَخرجُ مواكبُ الأجيال في همم الشباب تَزينُ العواصمَ سيوفاً وحرابا... ولن تَرحمَ عواصمُ أُخَر، من سُور الصين إلى جدار برلين، تَخشى على حظّها ونصيبها في كعكة النفوذ والخيرات!

ما من أحدٍ من المنوّرين، بل من العامّة الطيّبين، يباركُ حقّاً للحاكمين بأمرهم في شرقنا العربيّ، حيثُ مَبدأُ الـ٩٩.٩٩٪ لا يَحولُ ولا يَزول. وما من شكٍّ عندهم أنّ هؤلاء الذين أَبلَوا معنا كرعايا ولم يبالوا بمواطَنتنا وحقوقِ كرامتنا الإنسانيّة، منهم وبهم شرُّ البلايا. (وهل ننسى ما حلّ بلبنان، ولن يُبقيَ وَيَذَر في فلسطين...!)

ولكنْ، هل بجريرة أخطائهم وخطاياهم، وهي ضدَّنا، نُغزى نحن الشعوبَ ونُستعمرُ ونُرتَهنُ لمشاريعَ إمبرياليّة...، وبأيّ شَرعٍ وشَريعةٍ ديناً ودنيا؟!

لا. لا تملأوا إطارَنا الفارغ بمَرثيّة العراق. ولا تُطلقوا النارَ علينا من مَنصّة بغداد. فلن نَغرقَ بدموعنا، ولن نموتَ بدمانا. تمّوزُ منّا، وفي كلّ عام يَحجُّ إلى مَقام صلاح الدين!

على سباق الرأسماليّة فيها، وإلى التقوقع الثقافيّ أمام خطر الذوبان في ثقافة العالم الأقوى.

بناء عليه، يمكن طرح الأسئلة الآتية:

– هل الحدود التي ستفتدقها الدولة بفعل العولمة لا يمكن فعلاً إعادة النظر فيها في إطار سياسة جديدة لدولة جديدة تواجه الغزو الخارجيّ، بالانفتاح الشامل، وتعطّل تضييق الحدود على الداخل لغاية خنقه في دوّامة حركة معولمة تفتقد لقدرات السيطرة عليها، بتوسيع حدوده لتشمل العالم كلّه في إطار حيّزها المجتمعيّ والوطنيّ؟

– هل العبور إلى العالميّة لا يفرض على دولة الغد أن تكون منفتحة أكثر أمنيّاً، فتواجه الرقابة المفروضة عليها من الخارج بتطوير الانفتاح العالميّ من داخلها بين مقيمين وزائرين يعملون لديها، عبر توسيع أطر مدنيّتها لتشمل القريب والغريب في إطار سياسات تسهّل الممارسات الديمقراطيّة، بمعنى ضمان الحقوق للجميع وتوفير فرص القرار والاستفادة من الخير العامّ للجميع؟

– هل توفير شروط القربى الاجتماعيّة في أطر مدينيّة تتأثّر بالحركة السريعة والمتواصلة، لا يساعد بحدّ ذاته على تعويض ما ينتزعه تواجد القريب والغريب معاً من آليّات تضامن ملتزمة بالقرابة أو التشابه الانتمائيّ والثقافيّ فقط؟

– هل الرقابة كما نشهدها في المجتمعات المعاصرة: الولايات المتحدة، فرنسا، وخلافه، على الحدود وفي الداخل، الرقابة على الغريب الذي يحمل معه كلّ مخاوف القريب: مخاوف الأنكلوسكسون من العرب، والبيض من السود، والثقافة الأوروبيّة من الثقافة المشرقيّة، والأمريكيّين من الآسيويّين، لا تحمل معها بشائر الحرب والنفور الاجتماعيّ المتزايد والتصارع بين الانتماءات التي غدت تتجذّر أكثر فأكثر.

الحلّ الوحيد الذي على دول الغد أن تسعى إليه، في مجال السلم الأهليّ، هو توسيع الإطار الحقوقيّ العالميّ لكي تصبح المواطنيّة حقّاً للجميع في جميع المجتمعات، ولكي نتوقّف عن التذاكي في سلوكنا المعولم، فنستغلّ هنا لأنّ قوانين هذه الدولة تسمح بذلك، ونظلم هناك لأنّ الظلم مباح وبلا رقيب.

فلترتدع إذاً الدول القويّة، ولتساهم في توسيع الإطار الحقوقيّ العالميّ: أوّلاً بعدم الاستفادة من ضعفه في الدول التي تسرح وتمرح فيها، وثانياً بنشر الوسائل التي تضمن تطبيق الحقوق في جميع المجتمعات البشريّة.

ولتنتظم الدول الصغيرة، فتعتمد الحقوق مسلكاً مجتمعيّاً لها. وليكفّ كبارها عن الاستفادة من القبول بتقديم شعوبهم خرافاً لخدمة مصالح الأقوياء عبر رقابة داخليّة صارمة، فيلتزموا بالمواطنيّة نهجاً لتقرير المصير وشقّ طريق المستقبل.

٤- إشكاليّة الشأن العامّ في عصر الخصخصة

يتبيّن من مداخلات كلّ من الدكتور غازي يوسف والمحامي صباح مطر والأستاذ موسى جدعون والدكتور إيلي مخايل، ومن المناقشات التي دارت حولها، أنّ المسألة المطروحة على الدولة اليوم تتحدّد في مجال ضمان الخدمات العامّة للجميع وبشكل يحقّق العدالة والمساواة والإخاء أكثر منه في مجال إدارتها بنفسها لهذه الخدمات تحقيقاً لهذه العدالة.

ويتبيّن أيضاً أنّ ضمان الشأن العامّ من ضمن آليّات السوق، ولو كان يحقّق فعلاً وفراً اقتصاديّاً، فهو يتطلّب حضوراً أكبر للدولة كمحفّزة للمبادرات المجتمعيّة، وكراعية للمصالح العامّة، وكمؤمّنة للمساواة، وكداعمة للضعفاء.

ويظهر أخيراً أنّ على المجتمعات أن تسعى، في السنوات المقبلة، إلى تطوير آليّات المساءلة فيها، لكي تتمكّن من أن تسهر على الدولة التي سيطلب منها أكثر فأكثر السهر على المصالح كلّها بدءاً من مصالح الضعفاء، ومنها إلى مصالح الأقوياء.

* وقائع المؤتمر صدرت في كتاب من منشورات الجامعة.

وبنتيجة المداخلات والمناقشات، استخلص **الاستاذ عبدو القاعي** ما يأتي:

١- إشكاليّة الدولة كممثّلة للمجتمع وكمؤسّسة

الدولة في حدّ ذاتها هي عمليّة خلق دائمة لحالات مجتمعيّة، يقرّر في بناء معالمها المواطنون ويلتزمون بها كمشروع متحرّك، يحترمون من خلاله ما يقرّه القانون كنظام صادر عنهم، ويسعون لتحريك هذا القانون لكي يطال من يشرد عنه وما يهتزّ فيه بفعل الزمن. السؤال المطروح في هذا الصدد، كما يبلوره كلّ من رئيس الجامعة الأب **بطرس طربيه** ومدير عامّ العلاقات العامّة فيها الأستاذ **سهيل مطر** هو: هل نحن نسعى اليوم لترسيخ المفهوم القائم ضمنيّاً والذي يربط بشكل تبعيّ المجتمع بالدولة حيث أصبحت الدول تتحكّم بالمجتمعات، أم إنّنا نسعى إلى إعادة خلق دائمة لدولة تخدم مجتمعاتها فترسّخ بنياتها وتتحرّك مع اتجاهات رغباتها وتمنّياتها الإنسانيّة. فكان السؤال: دولة المجتمع أم مجتمع الدولة، كما طرحه السيّد **عبدو القاعي** وناقشه، مؤكّداً على أهميّة التركيز على الإنسان في علاقته مع الأرض والمجتمع والبيئة كمنطلق لبناء دولة الغد.

وكان لوزير الإصلاح الإداريّ جولة في هذا المعترك، فأفصح عن مكنوناته تجاه تعثّرات دولة اليوم، وعن تجربته في الإصلاح والتنمية في إدارة مؤسّسات الدولة اللبنانيّة، وعن أمله في أن تعتمد هذه المؤسّسات الوسائل التكنولوجيّة المتطوّرة لتحديث أداء الإدارة فيها وتطوير مساراتها الديموقراطيّة.

٢- إشكاليّة سلطة الدولة بين اللامركزيّة والعولمة

تُبرز هذه الإشكاليّة أهمّ التحدّيات التي تتعرّض لها دولة اليوم، وهي الموازنة بين محلّياتها وعالميّتها، في التزامها بالمشروع الديموقراطيّ الذي لا يتحقّق إلاّ عبر السلطة التي تتوارى في ذاتها لتصبح قوّة تستمدّ مشروع عملها من الإرادة الجماعيّة، وهي الإرادة التي لا تتكوَّن إلاّ بقدر ما تجمع وتضمّن من إرادة الناس كأفراد ومن مساحات المجتمع كأمكنة متنوّعة تبحث عن وحدتها في غيريّتها.

دافع عن هذا الاتّجاه لإعادة تكوين سلطة الدولة كلّ من الوزير بشاره مرهج والدكتورين ميشال نعمه وجورج لبكي عبر دعوتهم إلى تمتين الارتباط بين اللامركزيّة والعالم الحاضر في كلّ مكان، من خلال مشروع مركزيّ تضمنه الدولة لا كخاضعة للإرادة الأحاديّة المعولمة، بل كمتفاعلة مع مفهوم الحقوق الإنسانيّة الذي تعمل على بلورة معالمه على أرضها ومن ضمن نطاق صلاحيّتها.

٣- إشكاليّة السلم الأهليّ في عصر اللاحدود

تناولت هذه الإشكاليّة أربع محطّات:

المحطّة الأمنيّة: رقابة بلا حدود أم مواطنة القريب والغريب؟

المحطّة السياسيّة: سيادة الأوطان أم سيادة المجتمعات؟

المحطّة الاجتماعيّة الاقتصاديّة: رأسماليّة الاستثمار والاستهلاك أم رأسماليّة التثمير والتوفير؟

المحطّة الثقافيّة: أوطان ثقافويّة أم ثقافة إنسانيّة مجتمعيّة؟

لقد توقّف على هذه المحطّات بالتّوالي كلّ من الشيخ بطرس حرب كرئيس ومنسّق، والنائب نعمةالله أبي نصر، والدكتور نعيم سالم، والنائب عبّاس الهاشم، والدكتورة فيفيان نعيمه، والدكتور هلال خشّان وغيرهم من المناقشين الذين أخذوا الكلام وصرّحوا بآرائهم.

ما يمكن استخلاصه بنتيجة الأبحاث والنقاشات هو أنّ دولة الغد سيتوجب عليها أكثر فأكثر أن تواجه مستلزمات دخولها في إطار عالميّ معولم قد يفقدها حدودها وسيادتها ويفرض عليها رقابة خارجيّة يرسم معالمها السوق وتطرّز لمساتها السلطة الأقوى التي هي سلطة الأقوياء في تحريك السوق، ما قد يؤدّي إلى فقدان ملكها

١- المثقّف من هو؟

يستفاد من المداخلات والمناقشات التي جرت أنّ المثقف هو من يفكّر ويكتب ويلتزم بفكره وكتاباته، لا من حيث ارتباط معالجاته بمعرفة علميّة محدّدة، بل من حيث ارتباطها بالإنسان وبمعاني الحياة وبالبحث عن القراءات المختلفة لهذه المعاني بما لها من علاقة بالثقافات والحضارات الإنسانيّة بأبعادها المعتقديّة الرمزيّة، والمعرفيّة الفكريّة، والسلوكيّة التطبيقيّة.

وعليه، يتبيّن من خلال النقاشات أنّه يصبح لزاماً علينا اليوم وقد ضاع دور المثقف في المجتمعات أن نبحث في معاني وجوده وعن الوسائل والأساليب التي يمكن إطلاقها لإعادة تفعيل دوره في المجتمعات.

ولتسهيل البحث في أدوار المثقّف ووظائفه، تمّ اقتراح عدد من كلمات الأصل أو المصادر اللغويّة للمعاني التي يفترض بالمثقّف أن يتطرّق لها، بما لهذه الكلمات من قرب مع معنى وجوده ودوره. هذه المصادر مع المشتقّ الفاعل من بين مشتقّاتها، أوردها في ما يلي، كما تمّ اقتراحها في المداخلات والمناقشات:

– الفكر	والمفكّر	
– العقل	والعاقل	والنزعة العقلانيّة
– النقد	والناقد	والنزعة النقديّة أو الانتقاديّة
– التأليف	والمؤلّف	
– العلم	والعالِم	والنزعة العلميّة
– الحكمة	والحكيم	
– التعليم	والمتعلّم	
– الذهن	والذهني	والنزعة الذهنيّة (Cognitivisme)
– الثورة	والثائر	والنزعة الثوريّة
– الأدب	والأديب	والنزعة الأدبيّة
– التحليل	والمحلّل	والنزعة التحليليّة
– الفلسفة	والفيلسوف	والنزعة الفلسفيّة
– البحث	والباحث	والنزعة البحثيّة
– الكتابة	والكاتب	
– الشعر	والشاعر	والنزعة الشعريّة
– الثقافة	والمثقّف	والنزعات: الثقافويّة، التثقافيّة، التثقّيفيّة، الانثقافيّة

بالاستناد إلى كلّ ما سبق يمكن القول إنّ المثقّف هو صاحب القدرة على توليف المعاني والمفاهيم السابقة الذكر في شخصه وكتاباته ونضالاته من دون أن يقع في فخّ النزعات الانتقاديّة والعلميّة والذهنيّة والثوريّة والأدبيّة والتحليليّة والفلسفيّة والبحثيّة والشعريّة والثقافويّة والتثقّيفيّة.

فكيف يمكننا أن نتعرّف إليه اليوم؟ وكيف نبحث عنه؟ وكيف نتحضّر للعب دوره؟ أسئلة طرحت، وبقيت للتداول والنقاش في المستقبل.

الثقافة والمثقّف في لبنان
المفهوم والدور والوظيفة: رؤى مستقبليّة

خلاصات واستنتاجات

بقلم عبدو القاعي

هنا ندوة انعقدت في جامعة سيّدة اللويزة في إطار برنامج الشأن العامّ في قضايا الناس، بتاريخ ٣١ كانون الثاني ٢٠٠٣، وشارك فيها نخبة من أهل الفكر والعلم والأدب وغيرهم من العاملين في مجالات البحث والتحليل والكتابة والشعر، بلغ عددهم حوالى السبعين. وقد التقى هؤلاء المفكّرون للبحث في مفهوم الثقافة وفي دور المثقّف في العالم المقبل علينا بعد ثورة التكنولوجيا وحروب الثقافات والأديان بشكل عامّ، وفي لبنان بشكل خاصّ.

استند البحث، في هذه الندوة، إلى مفكّر وفيلسوف طبع القرن العشرين بنباهته وبالتزامه الإنسانيّ والسياسيّ، هو الكاتب الفرنسيّ: جان بول سارتر. وقد تركّز النقاش حول المحاضرات المعنونة: دفاعاً عن المثقّفين، والتي ألقاها الكاتب في مدينتي طوكيو وكيوتو خلال شهري أيلول وتشرين الأوّل من عام ١٩٦٥، وصدرت في كتاب عام ١٩٧٢، وترجمها إلى العربيّة الدكتور مصطفى دندشلي عام ١٩٩٧. هذه المحاضرات هي التي دعانا الدكتور دندشلي إلى الغوص فيها، بعد أن تبنّت ذلك سلسلة الشأن العامّ في قضايا الناس ودعت أهل الفكر إلى مناقشتها.

بناءً عليه، تركّزت محاور الندوة على أمورٍ ثلاثة:

- من هو المثقّف بمعنى النباهة الفكريّة والكفاءة العلميّة ووساعة المعرفة والكتابة والنشر والالتزام الإنسانيّ والنضال الفكريّ والسياسيّ؟
- من هم المثقفون الذين رغب جان بول سارتر في الدفاع عنهم دعماً للمبادئ الإنسانيّة والفكريّة، التي يسعون إلى إطلاقها لمواجهة الواقع وتحسين أداء الإنسان والمجتمعات البشريّة؟
- ماذا نعني بالثقافة، وإلى أيّة ثقافةٍ نتطلّع، وما هو دور المثقّفين في ذلك؟

٤- عن أيّة ثقافة نبحث؟

حكايتنا مع الثقافات هي حكاية صراع بين التشابه والاختلاف.

فالثقافة الوطنيّة تنطلق خاصّة، في المنطقة العربيّة وفي لبنان كجزء من هذه المنطقة، من افتراض التشابه الانتمائيّ بين الناس على أساس الانصهار، فتعمل على تفعيل صورة هذا التشابه الواحدة تحقيقاً لوحدة الوطن.

والثقافة الدينيّة المسيطرة حاليّاً تدعو هي أيضاً إلى الالتزام بالعقيدة قبل كلّ شيء، فيأتي هذا الالتزام تشبّهاً بالشكل الثقافيّ المعتمد للتعبير عن هذه العقيدة ويضعف من ضمنه الإيمان الذي هو التصاق بالإنسانيّة ومحبّة لآخر والسّعي لتحقيق الأخوّة والمساواة من أجل الانطلاق معاً إلى لقاء الخالق على طريق المحبّة والعدل والغفران.

في مواجهة هاتين الثقافتين، تتراجع في مختلف أقطار العالم **الثقافة المجتمعيّة** La culture sociétale التي تنطلق من الشموليّة الإنسانيّة لبناء التعايش بين الأفراد والجماعات المنتمية إلى ثقافات متعدّدة كغاية إنسانيّة حضاريّة ترتكز أصلاً على الاختلاف أو التمايز والتنوّع والمغايرة في مظاهر الوجود. وعليه، تتكاثر الدعوات اليوم للسّعي العالميّ الشامل من أجل توفير الشروط الملائمة لتحقيق الوحدة في المجتمعات الإنسانيّة عبر الاعتراف المتبادل بالمعتقدات وبالخيارات الثقافيّة المتعدّدة المرتبطة بها، وعبر التعرّف بعضنا إلى بعض والبحث بعضنا عن بعض في إطار من الحرّيّة والمساواة في الحقوق والواجبات.

الناس في المجتمعات المعاصرة وفي المنطقة العربيّة، ومن ضمنها لبنان، غدت مشدودةً اليوم أكثر إلى التوجّه الثقافيّ «الثقافويّ» "Culturalité"، أي التوجّه نحو تمتين أواصر الانتماء في تعابيره وأشكاله البدائيّة من أجل تمتين مناعته ضدّ الضياع القوميّ والإنسانيّ الذي تفرضه عليه العولمة. فالعولمة أصبحت بالنّسبة للعديد من الشباب مشروعاً حضاريّاً يحمل معه في ما يحمل ثقافة التكنولوجيا المجرّدة انتمائيّاً في ظاهرها، والمرتبطة ضمناً وجزئيّاً بالثقافة الغربيّة المرتكزة على الإنسان المقتدر والملتصق بفعاليّته في مجالات حياته الإنتاجيّة، وبفرديّته في مجالات حياته الخاصّة والعامّة، وبحقوقه الأنانيّة عبر مواجهة مع حقوق الغير في ارتباطاته الاجتماعيّة. هذه العولمة هي شكل من أشكال الديموقراطيّة، ديموقراطيّة الإنسان الأنانيّ في تنافسه مع الآخر، فلا يرتدع عن أن يدوسه ليصل قبله إلى مراكز القيادة والقرار والسلطة.

بناء عليه، تدعو هذه الديموقراطيّة الإنسان إلى أن يعبّر عن رأيه كجزء من الرأي العامّ، فإذا به يعلن ظاهريّاً عمّا علّمته إيّاه ثقافة التنافس، ويضمر داخليّاً نزاعاته مع ذاته المقضومة في حرّيّتها وفي غيرتها الدفينة.

الناس اليوم في لبنان هم جزء من هذا العالم المعولم. وهم بحكم كونهم في منطقة عانت ما عانت من الصراع «الثقافويّ» العقائديّ بين ثقافات وأديان تأصّلت حتّى فقدان أصولها الإنسانيّة الرحبة، غدوا يخافون على مستقبلهم فيحتمون بغلائل انتماءاتهم ليحصلوا على لقمة العيش وعلى الرضى والتقدير الاجتماعيّين.

فهل نرتدع نحن المثقّفين ليرتدع الناس؟ وهل نتغيّر ليتغيّروا؟ وهل ننثقف، أي ننفتح على الثقافات وبخاصّة الضعيفة منها، لينفتحوا على الإنسانيّة؟ وهل نسعى لبناء الثقافات المُدُنيّة (polis) التي تهدّئ الأصول لنساعدهم على صياغة حياتهم الفرديّة والجماعيّة من دون التنكّر لجذورهم من ضمن مشروع فكريّ ثقافيّ مجتمعيّ وإنسانيّ شامل يحقّق رغباتهم وأمانيهم؟

(1) Edgar Morin, *dans les clés du XXIe sècle,* Seuil editions, UNESCO, Paris, Mai 2000, p. 63.

* وقائع الندوة تصدر قريبا في كتاب عن منشورات الجامعة.

٢- من هم المثقّفون الذين يدور حولهم فكر جان بول سارتر؟

بعضٌ من أسماء المفكّرين الذين ذكروا في الندوة قد يساعدنا على ما نعني بالمثقّف بشكلٍ عامّ، وعلى اكتشاف أبعاد الفكر السارتريّ، بشكلٍ خاصّ. هذه الأسماء هي من الأبعد زمناً إلى الأقرب زمناً، كالآتي:

أعلام إنسانيّة من التاريخ:

حامورابي، كونفوشيوس، سان يات سن، سوفوكل، سقراط، توسيديد، أفلاطون، أرسطو، بلوتارك، القدّيس اغوسطينس، ابن المقفّع، ابن سينا، ابن رشد، ابن خلدون، حافظ الشيرازيّ، الفردوسيّ، ايراسموس، اتيين دي لابوديسي، هيدغر، غوته، نيتشه، شكسبير، ديكارت، موليير، راسين، كلود برنار، فولتير إلخ...

أعلام من القرن العشرين اعتباراً من مدرسة فيينا:

هوسيرل، فيردينان دي سوسير، كانت، إميل زولا، ماركس، فرويد، لاكان، غابرييل مرسيل، مونييه، كليود ليفي ستروس، هابرماس، ميشال فوكو، بول ريكور، جاك ديريدا؛ ومن مدرسة شيكاغو: مورينو وتشومسكي.

أعلام من العالم العربيّ ومن لبنان:

طه حسين، جبران خليل جبران، ميخائيل نعيمه، مارون عبّود، أمين نخله، أمين الريحاني، أمين معلوف، عاصي الرحباني إلخ...

٣- ما هي الثقافة؟

للثقافة معانٍ متعدّدة، نورد ثلاثة منها، ونؤكّد على الثالث بناءً للتوجّهات التي أسفرت عنها الندوة:

■ الثقافة هي أوّلاً ما يبقى عندما نكون قد نسينا كلّ شيء: أندريه مالرو.

■ الثقافة هي ثانياً تعابير لها رموزها وعلاماتها ومعانيها الخاصّة والمميّزة. تظهر هذه المعاني والرموز في الكلمات والفنون المختلفة التي تعطي لكلّ جماعة إنسانيّة طابعها الخاصّ.

■ الثقافة هي ثالثاً بحثٌ عن الذات الإنسانيّة وعن الكون عبرخروجٍ من الذات وسفرٍ إلى عمق الكيان الشخصيّ وعمق الآخر والكون في بحثٍ دائمٍ عن المعرفة وعن الجمال، معرفة وجمال الخلق الدائم والمتنوّع: ميشال سار (Michel Serre).

وعليه يمكن القول إنّ العلاقة الثقافيّة بين الأفراد والمجتمعات هي تلاقٍ مع الآخر:

* إمّا عبر صراع الخاصيّات
* إمّا عبر البحث عن الجوامع مشتركة
* إمّا عبر التجاوز: تجاوز الأنانيّة، وصولاً إلى البناء الدائم للهويّة الإنسانيّة المنفتحة

من خلال:

* الاعتراف بالخاصّيّة وبالتنوّع والبتعدّد وبالنسبيّة في ظاهرات الوجود (spécifité, diversité, pluralité, relativité)
* تفهّم وحبّ الآخر كما هو (alterité)
* الحوار مع الآخر والاعتراف بقيمته الملتصقة باختلافيّته (différencialité)

فَعَن أيّ حوار نبحث من أجل تطوير العلاقة الثقافيّة؟

يقول أدغار موران[١] ما معناه:

المستقبل هو كالماضي، غير أكيد. إنّما بالحوار يمكن التعرّف إلى الطبيعة الإنسانيّة في مفارقتها الأساسيّة، أي في وجود منطقين متناقضين في طبيعةٍ واحدة داخل الذات وداخل الآخر. وعليه يمكن الاعتراف بالمنطق كتكوين فكريّ يتضمّن منطقين للذات وللآخر وللعلاقة مع الذّات والآخر.

الدكتور نديم كرم، عميد كليّة الهندسة المعماريّة والفنون والتصميم، رحّب وأعلن عن إنشاء فروع العلوم الموسيقيّة الأربعة.

وأوضح أنّ هذا النتاجَ هو حصيلةُ جهد، دوزنه، وألّفه، وزّعه، ووعزفه الأب الياس كسرواني، مؤسّس هذه الفروع ومنظّم هذا المؤتمر.

البروفسور د. **الأب الياس كسرواني** عرض لنشأةِ فكرة تأسيس هذه العلوم في جامعة سيّدة اللويزه، ذاكراً بالتفصيل مراحل التكوين والخلق، وكلّ الذين ساهموا في تحقيقها منذ البداية.

وأشار إلى أنّ علم الموسيقى والميديا Musimedialogy هو من عجائب العلوم الموسيقيّة الفريدة في هذا العصر. فهو يشمل، إلى جانب علم وفنّ الموسيقى، الصحافةَ والفلسفات الجماليّة وتقنيّاتِ الميديا والاتصالات والتلفزة والإذاعة والإنترنيت، وقوانين حقوق المؤلّفين وإدارة أعمال الموسيقيين. وهذه الأخيرة هي لتنقذ الموسيقيين في مواجهتهم لصعاب الزمن الحاضر الذي جعل التجارة أداةً لتحقيق الفنون. ثمّ أكّد أنّه، بعد إجراء بحث لدى مؤسّسات المُلكيّة الفكريّة العالميّة المتخصّصة، ثَبُتَ له أنّ علم الـMusimedialogy، اسماً ومحتوى، هو اختراعٌ فريد، ترجع ملكيّته الفكريّة له.

وأضاف أنّه بعد أن دُرّست الموسيقى العربيّة جزئيّاً على هامش العلوم الموسيقيّة الغربيّة، غدت على يده، بتأسيس العلوم الموسيقيّة العربيّة، اختصاصاً قائماً بذاته.

رئيس جامعة سيّدة اللويزه، **الأب بطرس طربيه**، رحّب بضيوف المؤتمر ومحاضريه، في موطن الفنّ والثقافة وأرض الإخاء والتلاقي. ثمّ ألقى نظرة موجزة على ما سبق افتتاحَ فروع العلوم الموسيقيّة من تحضير، بالتعاون مع المؤسّسات التي تُعنى بالموسيقى، ولا سيّما المجلس الدوليّ للموسيقى في باريس، والمجمع العربيّ للموسيقى التابع لجامعة الدول العربيّة.

أمّا مطالعة وزير الإعلام، **الأستاذ غازي العريضي**، فتكشف عن اطّلاعٍ واسعٍ على تفاصيل البرامج الجديدة المقترحة، بآفاقها الثقافيّة والفنيّة والتاريخيّة، ما آل به إلى القول: «نحن أمام إنجاز موسيقيّ كبير نعتزّ به، أدخل اسم جامعة سيّدة اللويزه ولبنان إلى أعلى المراتب وأوسع الموسوعات العلميّة والموسيقيّة. إنّه فخر للبنان واعتزاز، في العالم كلّه». وبدا الوزير العريضي معطياً ما لقيصر لقيصر عند قوله: ... إذا كنّا في لبنان الصافي والفيروز وشمس الدين والرحباني والباشا والعقل... فنحن اليوم، في هذا الموقع بالذات، في لبنان الكسرواني، (قاصداً الأب الياس الكسرواني)، أمام حالة كسروانيّة مبدعةٍ جديدٍ في علم الفن. فليتأكّد العلم أنّ اللبنانيين يريدون أن تكون سياستهم فنّاً حضاريّاً مبدعاً خلّاقاً. ثمّ دعا لأن ننطلق جميعاً في اتجاه ثورة إعلاميّة كثورة الكسرواني الذي يجمعنا اليوم، والتي فيها هذه الإنجازات الكبيرة وهذه المدرسة التي تؤسّس للغةٍ واحدةٍ وخطابٍ واحد وكلام واحد.

ثمّ بيّن وزير الاتصالات **المهندس جان لوي قرداحي** بعرض، ما توصّلت إليه وزارة الاتصالات في مواكبة تقنيّات عصرنا، ومكانة لبنان التكنولوجيّة والاتصالاتيّة، ودور الأب الياس كسرواني بكونه أوّل من أطلق تسمية علوم الموسيقى والميديا Musimedialogy.

أمّا **الدكتوره رتيبة الحفني**، رئيسة المجمع العربيّ للموسيقى في جامعة الدول العربيّة، فقد شاءت أن يكون حضورها

تأسيس فروع العلوم الموسيقيّة في جامعة سيّدة اللويزة

ومؤتمر: التراث الموسيقيّ المحلّيّ في عصر العولمة

الأب الياس كسرواني

التراث الموسيقيّ المحلّيّ: نعمة أم نقمة، في عصر العولمة وصراع الثقافات؟ مؤتمرٌ عُقد في جامعة سيّدة اللويزه، تحت رعاية فخامة رئيس الجمهوريّة اللبنانيّة، العماد إميل لحّود، يومَي ١٢ و ١٣ من كانون الثاني/يناير ٢٠٠٣، في مناسبة الإعلان عن تأسيس فروع العلوم الموسيقيّة الأربعة الآتية:

العلوم الموسيقيّة Musicology

علوم التربية الموسيقيّة Music Education

علوم الموسيقيّة العربيّة Arab Musicology

وعلوم الموسيقى والميديا Musimedialogy

شارك في المؤتمر، الأستاذ غازي العريضي وزير الإعلام، والأستاذ جان لوي قرداحي وزير الاتصالات، واكتمل نصاب الوزراء المعنيين بهذا الحدث، لدى تمثيل الدكتور غسان سلامة، وزير الثقافة، لرئيس الجمهوريّة اللبنانيّة.

مؤسّستان عالميّتان، هما الأوليان في صلتهما بالحدث الموسيقيّ، كان وجودهما دلالةً على أهميّة ما استقطبت جامعة سيّدة اللويزه في إطلاق الفروع الموسيقيّة الحديثة: المجلس الدوليّ للموسيقى، اليونسكو-باريس الحاضر بشخص رئيسه الأستاذ كفاح فاخوري، والمجمع العربيّ للموسيقى التابع للجامعة العربيّة، لقد تمثّل بشخص رئيسته أيضاً، الدكتوره رتيبه الحفني؛ بالإضافة إلى ممثّلين عن مختلف الكليّات والمعاهد الموسيقيّة والإعلاميّة اللبنانيّة والعربيّة، وبعضِ وزارات الثقافة العربيّة.

الأستاذ الياس سحّاب جاء موضوعه بشكل تساؤل ينمّ عن تحسّسٍ للصراع الذي تعيشه الموسيقى العربيّة في أيّامنا الحاضرة: **التراث الموسيقيّ العربيّ: إلى تجدّد أم إلى زوال؟**

الدكتور نداء أبو مراد، ممثّل المعهد العالي للموسيقى في الجامعة الأنطونيّة، استفاض متفرّداً بجدليّة خاصّة في تحليله **للتقليد الموسيقيّ العالِم والتجدُّد المتأصّل.**

الدكتوره رتيبة الحفني، رئيسة المجمع العربيّ للموسيقى-جامعة الدول العربيّة، كان في عرضها من الواقعيّة والاقتضاب والحقيقة ما يكفي ويزيد لموضوعها ويزيد: **العولمة والموسيقى.**

الدكتور نبيل اللّو، عميد المعهد العالي للموسيقى-دمشق بسط بمنتهى الدقّة وبتعبيرٍ تحليليٍّ ألسُنيٍّ ملهم، وشاح التفاؤل على العولمة من حيثُ مقدّراتُها على نشر التراث، من خلال موضوعه: **نعمة العولمة في نشر التراث الموسيقيّ.**

الأستاذ توفيق الباشا، ممثّل لبنان في المجمع العربيّ للموسيقى، تناول وضع الموسيقى العربيّة في تاريخها وجغرافيّتها منذ العصور الوسطى حتى وقتنا الحاضر، وأنماط الممارسة الموسيقيّة في مختلف الحقول كالمسرح والسينما والأوركسترا... تحت عنوان شامل : **التراث الموسيقيّ، نعمةٌ أم نقمة؟**

الدكتور فكتور سحّاب، عالج **العولمة والموسيقى العربيّة** من جانبٍ سياسيّ، عقيديّ وتجاريّ. ثمّ شمل تحليله وضع المسرح الغنائيّ وقضايا السلّم المعدّل والهويّة الثقافيّة.

الأستاذ رامي الرامي، لفت انتباه الحاضرين بمشروعه المستقبليّ الذي يستخدم مقدّرات العولمة لمصلحة الأرشفة مقدّماً عرضاً **لمشروع الضّاد ونعمة العولمة.**

الأستاذ كفاح فاخوري، رئيس المجلس الدوليّ للموسيقى تحدّث عن المؤسّسات العالميّة الحديثة وتقنيّاتها في توثيق الدراسات وأرشفة البحوث والمستندات الصوتيّة، تحت عنوان: **مراكز المعلومات الموسيقيّة: حفاظ على الخصوصيّات المحليّة وفروقاتها في زمن العولمة.**

الدكتوره شيرين المعلوف، ممثّلةً قسم التربية الموسيقيّة في كليّة التربية-الجامعة اللبنانيّة، قدّمت محاضرةً مكثّفةً في موضوع **التراث الموسيقيّ العربيّ إلى أين في عصر العولمة؟**

الأستاذ أمين البشيشي، وزير الثقافة الجزائريّ السابق، متميّزاً بتحليل سلّط الضوءَ على الثروة الثقافيّة الكامنة في التراث الموسيقيّ، وهي ثروة تضاهي الثروات الماديّة. وجاءت محاضرته تحت عنوان: **خواطر عابرة حول التراث الموسيقيّ: نعمة أم نعمة في عصر العولمة؟**

* وقائع الندوة تصدر قريبا في كتاب عن منشورات الجامعة.

شهادة على الأهميّة التي توليها جميع الدول العربيّة لفرع العلوم الموسيقيّة العربيّة، هذا العلم السبّاق الذي طالما تاقت إليه البلاد العربيّة، قائلةً: «لقد تحقّق حلمٌ كنّا نسعى إليه منذ سنوات طويلة، وأصبح لموسيقانا العربيّة كليّةٌ... تبحث في علومها وتنشر دراساتها وتعرّف هذا الجيل والأجيال القادمة بموسيقانا وباتجاهِ الفلاسفة العرب الكبار فيها. هذه الأمنية، لم تكن أمنيةَ أفراد، وإنّما أمنية مؤتمراتٍ، حرصت في كلّ توصياتها، على مطالبة الجامعات بتخصيصَ كلّيةٍ للعلوم الموسيقيّة العربية؛ وتحقّق هذا الحلم على يد جامعة سيّدة اللويزه».

وفي ختام كلمتها، تقدّمت باسم المجمع العربيّ للموسيقى، بالتهنئة لكلّ من ساهم في إنشاء وتأسيس كليّة العلوم الموسيقية العربيّة، وعلى رأسهم الأب الياس الكسرواني. وقدّمت مكافأة إلى جامعة سيّدة اللويزه هي نتاج المجمع العربيّ للموسيقى بكليّته، ما قوبل بموجة من التصفيق الحار.

الأستاذ كفاح فاخوري، رئيس المجلس الدوليّ للموسيقى، اليونسكو-باريس، لاحظ أنّ تفرعات برامج العلوم الموسيقيّة التي أنشأتها جامعة سيّدة اللويزه قد صُمّمت بعد قراءة متأنّية لواقع الحركة الموسيقيّة على الساحتين اللبنانيّة والعربيّة ولآفاقها. فاختصاصات العلوم الموسيقيّة العربيّة، والتربية الموسيقيّة، وعلوم الموسيقى والميديا، فيها توازن واضح بين تحقيق فرصِ عملٍ للشباب، في مجالات التربية والتعليم والإعلام المعاصر، وبين تحميلهم مسؤوليّة الحفاظ على خصوصيّة الهوّية الثقافيّة التي يتحدّرون منها.

وختم كلمته مهنّئاً وواعداً بتقديم كلّ تعاون من قبل المجلس الدوليّ للموسيقى، كاشفاً عن تقديم مكافأةٍ، هي نتاجُ المجلس الدوليّ للموسيقى، إلى جامعة سيّدة اللويزه.

وشرح أخيراً **الدكتور غسّان سلامه**، وزير الثقافة اللبنانيّ وممثّل رئيس الجمهوريّة راعي المؤتمر، أنّ صراع الثقافات هو تكامل، وأنّ نعمة التراث أونقمته، إنّما هما انسياقٌ وانسجام.

ثمّ تلا الافتتاح تكريمٌ لستّةٍ من الموسيقيين اللبنانين، هم: بوغوص جلاليان، توفيق سكّر وسليم الحلو، وبشاره خرزان وفريد أبو الخير واسكندر الشلفون.

...وجاءت مشاركات المحاضرين في المؤتمر: **الأب الياس الكسرواني** قدّم دراسةً بموضوع: **الإبداع الفرديُّ وإبداعُ مراكز البحوث، في ظلّ العولمة**.

محاضرة **السفير فؤاد الترك** امتازت بالشموليّة والعمق معاً، وموضوعها: **لبنان والعالم العربيّ أمام العولمة وتحدّياتها**. محاضرة **المطران د. جوزيف عبسي** تفرّدت بتحليلٍ عالج بذور العولمة منذ نشأة المسيحيّة حتى اليوم، مركّزاً شرحَه على **الموسيقى البيزنطيّة والعولمة**.

الدكتور بندر عبيد، مدير المعهد العالي للموسيقي-الكويت، قدّم محاضرةً تحمل عنوان المؤتمر العام، مطبّقاً نظريّته على اختبار الساحة الكويتيّة.

الدكتور وائل خير كشف عن وجه العولمة المفيد الذي ساهم في إعطاء الفرص الفضلى للحاضر، فميّزته عن الماضي تميّزاً إيجابيّاً، كونُ وسائل العولمة سمحت حقّاً بتحسين ممارسة حقوق الإنسان.

وبنتيجة الجلسات الثلاث، كانت حصيلة المقترحات على الشكل الآتي، على ما رأى **الأستاذ هنري زغيب:**

١) العربيّة من وجهة نظر المسؤولين التربويين

المؤسّسات التربويّة حريصة على العربيّة والمساهمة في نَهضتها. لكنّ هذه اللغة تعاني إجمالاً من مشكلة تدريسها. لذا، يجب تَحديد الداء، والعمل على استنهاض التلامذة لمواصلة رسالة لبنان الحضاريّة، واللغة العربيّة أساسٌ في هذه الحضارة. فاللغة هي الإنسان والهويّة. وهي كالكائن الحيّ تنمو وتتطوّر، ولا حياة اجتماعيّة بدون هذه اللغة والتفاعل معها. من هنا ضرورة إخراجها من متحفيّتها، وإخراجِها من سجن المصالح الخاصّة التي تتجاذبُها.

والعربيّة التي استفاقت على أيدي الروّاد اللبنانيّين، لا ندعنّها على أيدي اللبنانيّين تَموت. فلنحيّدْها عن الصراعات والنّزاعات، وألاّ نكون أهدرنا جهد المبدعين وخسرنا تراثنا الثريّ. وهذه الحلقة الدراسيّة اليوم بداية خطوة عمليّة من برنامج طويل يعتبر اللغة العربيّة خياراً حضاريّاً في لبنان مقلع الكلمة ومورِدِ الفكر والتعبير.

وإذا النهضة العربيّة قامت في الروح أوّلاً، ثمّ في الآداب والصحافة. فنحن اليوم أمام تحدّيات تعليميّة وحضاريّة، تُملي علينا عصرنتها، وتسهيلها للتعبير عن العلوم والتكنولوجيا الحديثة وسط تَحوّلات العصر. من هنا ضرورة "تصنيع" الآليّات التربويّة لاستعادة عصر اللغة الذهبيّ، فيعود لبنان اللسان العربيّ صلة الوصل في التزام حياتيّ حضاريّ، ويبقى له دوره الرسوليّ.

٢) العربيّة وتَحدّيات العصر

أ- تحدّي اللغات الأجنبيّة:

- إنّ بقاء العربيّة مرتبطٌ بِما لها من قداسة وقدرة على التعبير والإبداع. ونحن منفتحون على العالم وثقافاته وعلومه وتقنيّاته، ومن عندنا كان انطلاق روح النهضة الحديثة. وانطلاقاً من قول غوته: "اللغة تصنع الناس أكثر ممّا هم يصنعونها"، نرى أنّ للإنسان ولادتين: جسديّة ولغويّة. من هنا العلاقة الخاصّة بين الإنسان ولغته التخصّصيّة (أدبيّة، حقوقيّة، فنيّة، فلسفيّة،...)، وضرورة تغذيته شبكة علاقات لغويّة أفقيّة وعموديّة مع سائر الثقافات، في اللغة الواحدة نفسها ومع سائر اللغات.

- الازدواجيّة في التعبير تحدٍّ مباشر للكاتب، فقد تتصارع لغتان في قلم واحد. والمفارقة لدى الكتّاب اللبنانيّين أنّ معظم فرنكوفونييهم لم يتقنوا العربيّة مع الفرنسيّة، بينما معظم أنكلوفونييهم تمكّنوا من اللغتين.

- تواجه العربيّة تحدّيين أساسيين: اللغات الأوروبيّة في الخارج، والعاميّات المحليّة في الداخل، فللعربيّ لغة محكيّة وأخرى مكتوبة بينما للأوروبيّ ثنائيّة الكلاسيكيّة والحداثة لا ثنائيّة لغتين.

- مستويات التعبير في اللغة تختلف بين المتعلّم والمثقّف والمبدع والباحث. من هنا ضرورة نقلها من الأزقّة الضيّقة إلى الجادّات الواسعة، وتبسيط قواعدها العامّة، تراكيبَ وجُمَلاً وكتاباتٍ (مصر وحّدت كتابة الهمزة على الألف المقصورة، لكنّ هذه القاعدة لم تتعمّم).

- ضرورة الترقّي بالعاميّة إلى الفصحى المتداولة، والإكثار من تعريب آداب الآخرين وفلسفاتهم (لا علومهم)، لأنّنا منتجو أدبٍ وفلسفة لا علوم، ويجب تبنّي مفردات تقنيّة أوروبيّة (عوض الإصرار على مفردات عربيّة ممجوجة: ناسوخ، حاسوب، جعة،...). من هنا قدَر العربيّة أن تذهب إلى ذاتها أو تتقهقر.

ب- تحدّي التكنولوجيا الحديثة:

- تواجه العربيّة اليوم تَحدّياً في تناقض المنشأ. أبعد من حرب آلة تكنولوجيّة على لغة. فتقنيّات الاتصال فرضت علاقتها باللغات الأجنبيّة (الإنكليزيّة تحديداً)، والمعاصرة فرضت إتقان الإنكليزيّة (من هنا ترجيحُ منظّمة الأونسكو أنّ لغاتٍ صائرةٌ إلى زوال، ومنها العربيّة). فبينما الإنكليزيّة سرعةٌ وبرقٌ وظيفيٌّ وعفويّة، نجد العربيّة تطويلاً وبطءاً و"مخاطبة رسميّة متكلّفة"؛ كأنّ الإنكليزيّة

اللغة العربيّة... إلى أين:
مشكلة تَعَلُّم أم مشكلة إيصال؟

بدعوة من جامعة سيّدة اللويزة، تعاوناً مع رابطة خرّيّجي معهد الرسل (جونيه) وأصدقاء المدرسة الرسميَّة، انعقدت، نهار السبت ١٥ آذار، حلقة دراسيّة في موضوع "اللغة العربيّة... إلى أين: مشكلة تَعَلُّم أم مشكلة إيصال؟". بحضور الوزير جورج افرام مُمثِّلاً رئيس الجمهوريّة العماد إميل لَحّود. ومشاركة كثيفة من أساتذة اللغة العربيّة وخبراء ومهتمّين، وذلك وفق البرنامج الآتي:

الافتتاح

كلمة رئيس جامعة سيّدة اللويزة الأب **بطرس طربيه**

كلمة رئيس معهد الرسل الأب **مالك بو طانوس**

كلمة المؤتمر أ. **جان كميد**

كلمة أصدقاء المدرسة الرسميّة **الوزير جورج افرام**

المحور الأوّل

الموضوع: **العربيّة وتحدّيات العصر**

الرئيس: **النائبة بهيّة الحريري**

المحاضرون: د. أمين ألبرت الريحاني: اللغات الأجنبيّة

د. إلهام كلاّب البساط: التكنولوجيا الحديثة

د. غالب غانم: اللغات العامّيّة

المحور الثّاني

الموضوع: **صعوبات تعلّم العربيّة**

الرئيس: **د. ليلى مليحة فيّاض**

المحاضرون:

أ. كمال الشرتوني: اختبارات وتجارب

أ. الياس الحدّاد: الوسائل التربويّة

د. صادق مكّي: القواعد: تأليفاً وتدريسا

المحور الثّالث

الموضوع: **سبل تطوير العربيّة وتحديثها وإيصالها**

الرئيس: **د. ساميه جابر**

المحاضرون:

الوزير السابق جورج سكاف: لغة الإعلام

د. منصور عيد: بين الفصحى والعاميّة

د. فوزي عطوي: تحديث التراث

■ ضياع النهج التربويّ في تعليم القواعد، فالتأليف عمليّة استنسابيّة تخضع لمعايير تجاريّة.

■ المشكلة في تعليم قواعد العربيّة كأنّها لغة أجنبيّة، وفي أنّ تأليف كتب القواعد يحتاج إلى التطوير، لأنّ المؤلّفين ليسوا دائماً أصحاب اختصاص.

■ ضرورة إعادة تقييم المناهج الحاليّة.

٤) سُبُل تطوير العربيّة وتحديثها وإيصالها

أ- عبر لغة الإعلام

■ أهميّة العربيّة في بقائها إزاء انقراض لغاتٍ آخرى. وهي كانت مع الأمويّين والعبّاسيّين لغة رسميّة.

■ النقيب محمّد البعلبكي يرى أنّ "اللبنانيّين عرّبوا العربيّة".

■ دور الصحافيّين اللبنانيّين في نشر العربيّة عبر الصحافة، بإدخالهم مفردات على اللغة الحديثة، تماماً كما الإعلام الأميركيّ بسّط اللغة الإنكليزيّة.

■ البيئة اللبنانيّة استنهضت اللغة العربيّة من بداوة الصحراء إلى النضارة والجمال.

■ بعد الفتح العربيّ السياسيّ، يمكن الكلام على الفتح الإعلاميّ اللبنانيّ، خاصّةً بعد الجدل حول الروح التحرّريّة في الصحافة اللبنانيّة.

■ للمعلوماتيّة لغتُها الخاصّة، فلتتناغمْ معها كلّ لغة أخرى.

ب- بين الفصحى والعاميّ:

■ الصراع بين اللغات ناتج عن تمسّك كلّ لغة بخصوصيّتها بين التداول الكلاميّ والتداول الكتابيّ.

■ التكلّم بالعاميّة يفكّك الفصحى. لأنّ العاميّة تفكّك الكلمات بكتابتها الأصليّة وتعيد جمعها حسب استعمالها على اللسان لا بحسب أصولها الأولى.

■ ليس بين الفصحى والعاميّة جدليّة افتراق وصراع، بل جدليّة تكامل.

■ الفصحى والعاميّة مستقلّتان ولو هما تنتميان إلى أصل بنائيّ واحد. لا صراع بينهما كصراع أهل البيت الواحد. بل هما نموذجان منفصلان كلغتين منفصلتين.

■ العاميّة المحكيّة غير العاميّة المكتوبة. من هنا أنّ العاميّة أكثر براغماتيّة من الفصحى، لأنّها ملتصقة بحياة الإنسان اليوميّة وسرعته في التطوّر.

■ على العربيّة الابتعاد عن الفولكلور الخطابيّ ومقاومة تدميرها بتجديد نفسها من داخلها.

ج- حديث التراث:

■ التراث تواصلٌ براغماتيّ بين الأصالة والمعاصرة: لدى الأقدمين ما يمكن تطبيقه اليوم، مضافاً إلى الضروري المستحدث.

■ تَحديث التراث لا يكون بحلّ إحادي، بل خيارٌ مستجيبٌ لِمتطلّبات العصر.

■ التراث مكوّنٌ أساسيّ للعقليّة المعاصرة، لذا ليس من تناقض بين الأصالة والمعاصرة، بل تكاملٌ في إطار الموقف الثقافيّ.

■ الحاضر ماضٍ يتحرّك. والماضي حاضرٌ يعاش. والعربيّة تحمل في كيانها بذور التجدّد. فهي ليست في أوابد ألفاظها، بل في حملها كينونيّاً بذور التجدّد.

■ ضرورة ترغيب أولادنا بالعربيّة كترغيبنا إيّاهم باللغات الأخرى.

وفي نهاية الحلقة الدراسيّة تشكّلت لجنة متابعة لدراسة الخلاصات أعلاه وصياغة شرعةٍ خاصّة بتدريس اللغة العربيّة تحدّ من مشكلة التعلّم وتحلّ مشكلة الإيصال.

* وقائع الندوة تصدر قريبا في كتاب عن منشورات الجامعة.

مفتاح المستقبل، والعربيّة عودة إلى الماضي.

- يجب تطويع الأجنبيّة للحروف عربيّة، وإيجاد "إقليم عربيّ" للإنترنت، تماماً كما رفضت الصين وروسيا استخدام الإنترنت بالحروف الإنكليزيّة.
- الإعلام سلاح معركة اللغة العربيّة لمواجهة تحدّي مستجدّات العصر.
- معالجة مشكلة ارتباط الشباب في لغتهم الأمّ في وسائل الاتصال الحديثة، بتجديد تعليم العربيّة، والإفادة من التقنيّات لصياغة التطوّر بإيجاد قاموس وتعريب المصطلحات العلميّة.

ج- تحدّي اللغات العاميّة:

- الدعوة إلى العاميّة بدل الفصحى بدأت مع ولهلم سبيتر (١٨٨٠) وتجدّدت مع الإنكليزيّ وليم ولكوكس (١٨٩٣)، وظهرت في لبنان مع أنيس فريحه وسعيد عقل ويوسف الخال.
- ليس الإشكال في التعبير بين "لغات عاميّة" و"لهجات عاميّة"، بل في الازدواجيّة اللغويّة: تَسَرّب لغةٍ ثانية إلى اللغة، وانتقال اللغة إلى طور اللهجة؛ فرقعة الفصحى تضيق أمام العاميّات.
- عربيّة الكلام المحكيّ غيرُ عربيّة كتابتها، ولا مشكلة بين الفصحى والعاميّات، بل في المسافة بينهما، ولا ضير في نشوء فنٍّ قائم بذاته في العاميّة (كالشعر مثلاً)، لكنّه غير مؤهّل للحلول مكان الفصحى.
- اللغة ابنة الحياة، من هنا ضرورة إمداد الفصحى بالجديد المتطوّر، وتغليب العقل والعلم على العاطفة. فالانتصار للفصحى لا يهمل دور العلوم والعلم الحديث. فلا صلاح للغة إلاّ بصلاح العقل.
- لجنة التربية البرلمانيّة تُهيّئ لورشةٍ وطنيّة عامّة حول تقييم المناهج والبرامج، عبر استخدام التقنيّة الحديثة، وستكون للورشة صفحة على الإنترنت لتقبّل الملاحظات من الجميع.

٣) صعوبات تَعَلُّم العربيّة

أ- اختبارات وتجارب:

- العربيّة كانت، ذات فترةٍ، لغة العلم، وباتت اليوم بحاجة إلى مجلس يرفدها بالمفردات الجديدة.
- تبسيط القواعد مدخل، إنّما من دون المسّ بجوهرها.
- صعوبات تعلّم العربيّة نوعان: تقليديّة (قواعد، تقديم،...) ومفتعلة (تَجنّباً لجهد تعليمها).
- يبدأ الطفل تعلّم العربيّة بمخزون عاميّ، تجب مؤالفته مع الفصحى المبسطة.
- التطوّر في اللغة وتعليمها يجب ألاّ يلغي خصوصيّاتها.
- من سلبيّات سوء تدريس العربيّة: توجيه الأهالي أولادهم إلى المواد العلميّة.
- من سلبيّات تدريس العربيّة: هجرة الأدمغة من رسالة التعليم إلى مهن أخرى أكثر مردوداً. والتراجع في مستوى حَمَلة الإجازات التعلّميّة.
- ضرورة الخروج بلجنة متابعة لوضع الحلول.

ب- الوسائل التربويّة:

- وسائل الاتصال: وسائط مساعدة: مواد، أدوات، أجهزة،...
- تطوّر مفهوم الوسائل عبر الزمن، من "وسائل إيضاح" إلى "وسائل معيّنة". ودورها الرئيس في التعلّم التعليم. عبر رفد الكتاب المدرسيّ بوسائل مرفقة سمعيّة وبصريّة لتأمين التواصل الشفويّ والكتابيّ.
- ضرورة تدريب المعلّمين ومعدّي المعلّمين والمدرّبين على الاستخدامات العلميّة، ليكونوا جاهزين للتطوّر التكنولوجيّ باستخدامها.
- المركز التربويّ يعدُّ خطّةً متكاملة بإنشاء جهاز دائم للتدريب المستمرّ.

ج- قواعد العربيّة: تأليفاً ومناهج

- المشكلة ليست في اللغة بل في إيصال اللغة، وفي المناهج. من هنا ضرورة عصرنة اللغة.

ثـمّ قُـدّم الـكـتـابُ إلـى وسـائـل الاعـلام، مـن المركز الكاثوليكيّ للاعلام، برعايةٍ من النائب البطريركيّ العام المطران رولان أبو جوده.

وبمناسبة تقديم الكتاب، كانت كلمة لرئيس الجامعة الأب بطرس طربيه فـي مشـروع الـجـامـعـة نشـرَ المخطوطات، جاء فيها:

أودّ أن أبدأ بشكر القيّمين على هذا الصرح الإعلاميّ (المركز الكاثوليكيّ للإعلام) الذي نرى فيه منبراً للإيمان والحريّة والوطنيّة. وأخصّ بالتقدير سيادة النائب البطريركيّ العامّ رولان أبو جودة ومعاونيه الكرام. كما أحيّي بمحبّة جميع الإعلاميين المشاركين في هذا اللقاء.

أمّا موضوع حديثنا فهو نشر المخطوطات، ومن بينها مخطوطة العلاّمة السمعانيّ (كتاب الإلـهـيّات). إلا أنّـنـي سـأكـتـفي بـالـحـديث عن موضوع المخطوطات، تاركاً للدكتور أمين الـريـحـانـي، نـائـب رئـيـس الـجـامـعـة لشـؤون الأبـحـاث والإنـمـاء، الـحـديث عـن الـسـمـعـانـي ومخطوطه موضوع حديثنا.

أيّها السادة، يوم قرّرت جامعة سيّدة اللويزة المباشرة بمشروع نشر المخطوطات التي بحوزة الرهبانيّة المارونيّة المريميّة، كان دافعها تحقيق هدف محدّد ضمن رسالتها التربويّة والبحثيّة والوطنيّة.

فنشر المخطوطات على **الصعيد التربويّ** يعني تعريف الطّلاب الجامعيين على تراثهم الروحيّ والفكريّ والأدبيّ. فمسألة الإيمان مسألة لاهوتيّة وفلسفيّة شغلت آباء الكنيسة المارونيّة وسواها من الكنائس المشرقيّة تأليفاً ودراسةً منذ أواخر القرن السادس عشر ومطلع القرن السابع عشر، حين انصرف عدد من خرّيجي مدرسة روما المارونيّة إلى وضع المؤلّفات والمصنّفات في مواضيع كنيسيّة وتاريخيّة ولغويّة، ناهيك عن اللاهوت والفلسفة وعلم المنطق وسائر العلوم والمعارف. وأَوْلى بطلاّبنا أن يتعرّفوا إلى تراثهم في الوقت الذي يتبارى فيه المستشرقون على دراسة هذا التراث ونشره وكتابة الأبحاث حوله. لذا، فإنّ الغاية التربويّة من هذا المشروع هي وضع مادّة غنيّة بين أيدي طلاّبنا والأجيال اللبنانيّة الآتية ليتعرّفوا على حقيقة تراثهم الروحيّ والفكريّ المتجذّر في المكان والزمان، والمعزّز لمعنى انتمائهم إلى الأرض والوطن والتاريخ.

ونشر المخطوطات على **الصعيد البحثيّ** يعني الإفساح في المجال أمام الدارسين والباحثين وطلاّب المعرفة للانكباب على مادّة ثريّة، قديمة جديدة، تشكّل العمود الفقريّ لمنجزاتنا الإنسانيّة الحديثة. فهذه المخطوطات بحاجة دائمة إلى تحقيق، وتدقيق، ومقارنة، ودراسة نقديّة، وتقويم تاريخيّ، وفكريّ، وإبداعيّ، ووجوديّ، وغائيّ. هي مادّة أصيلة تفتح لنا مجال الأبحاث المتعلّقة بالدراسات الاجتماعيّة والإنسانيّة والأنثروبولوجيّة، كما تقترح علينا موضوعات بحثيّة أثارها أصحابها منذ القرن السادس عشر وما تزال صالحة حتّى اليوم. فآباؤنا المنوّرون طرحوا المسائل الكونيّة، كما عالجوا المسائل الخاصّة المتعلّقة بالهويّة والتراث. وحريٌّ بنا، وعبر هذا المشروع، أن نعير انتباهاً لما أهملناه طوال عشرات السنين. لذا، فإنّ الغاية البحثيّة من هذا

إصدارٌ جديد في سلسلة المخطوطات اللبنانيّة

«كتاب الالهيّات» للسمعاني

الأب طربيه نشر المخطوطات من رسالة جامعتنا التربويّة والبحثيّة والوطنيّة

الريحاني كتاب الالهيّات يطرح السمعانيّ مفكّراً رئيساً من مفكّريّ النهضة وعصر التنوير

... أمّا وقد صدر كتاب الالهيّات «للسمعانيّ، بعد نحو من ثلاثمئة سنة على وضعه، ثمّ رقادِه بين نفائس الرهبانيّة المارونيّة المريميّة «على رجاء القيامة المجيدة»، فقد تَشدّدت عزيمة النشر في جامعة سيّدة اللويزة، واغتبط...

إنّه المخطوط الذي لم يكن في حسبان دارسي السمعانيّ وعارفيه، أو هم أشاحوا عن التصدّي له لوعورة مسالكه.

وإنّ ظهورَه اليوم، على أبواب المجمع اللبنانيّ أو المارونيّ الجديد، علامةٌ من علامات العناية، توحي وتوصي أَنِ اهتدِ أيُّها الخَلف بما أبدع السَلف...

النسخة الأولى
كانت لسيّد بكركي،
غبطة البطريرك
الكاردينال
مار نصر الله بطرس
صفير،
وقد كان اهتمامُه
بالغاً...

جديد بعد نحو ثلاثمئة عام من ولادته الأولى. عُرف السمعانيّ بأنّه صاحب فهارس المكتبة الفاتيكانيّة ولم يُعرف بما هو أهمّ، أي بكتاب ليس في باب الجمع والتصنيف بل في باب التأليف والإبداع، وليس في باب الفهارس بل في باب المزاوجة الخلاّقة بين الفلسفة واللاهوت.

تبرز جدليّة السمعاني في **كتاب الإلهيّات** من خلال طبيعة طرحه لإشكاليّات بحثه. فمن تفصيل للجزئيّات إلى مناقشة الأنواع المحتملة لكلّ جزء ثمّ تضاعيف تلك الأنواع، وكأنّه يبحث في الطبقات العقليّة في تشريحها الفلسفيّ لكلّ مادّة من موادّ الجدل المطروح. وفي معالجته لمعرفة وجود اللّه، يعمد السمعاني إلى النفاذ من المعرفة «الظاهرة»، كما يسمّيها، إلى المعرفة «المبهمة» التي نستدلّ من شرحه أنّها المعرفة الجوهريّة. كما يأخذ بالجدل البرهانيّ في معالجته للشأن الإلهيّ، محلّلاً أنواع البرهان وأساليبه ومرتكزاته.

ويبدو من كتاب الإلهيّات أنّ السمعانيّ قد اطّلع في الأرجح، على أرسطو والأكوينيّ وأغوسطينوس، معتمداً بعض حججهم في اثبات الحقيقة الإلهيّة. وقد غُلبت الحجّة الكونيّة عنده، وهي الآخذة بجدليّة الممكن والواجب، على الحجّة الغائيّة بجانبها الدينيّ الخالص. أمّا الحجّة الأخلاقيّة فإنّك تجد نفحات منها موزّعة في فصول الإلهيّات من دون اعتمادها منهجاً فلسفيًّا في عمليّة البناء الفكريّ في الكتاب. وإذا ما تحدّث عن مبدأ التمييز بين معالم الوجود فإنّه يقسّمُه إلى ثلاثة: التمييز «العقليّ» أي الدلاليّ الذهنيّ، والتمييز «الحقيقيّ» أي الطبيعيّ والنوعيّ، والثالث «التقديريّ» أي الافتراضيّ والنسبيّ.

ويجول السمعانيّ في موضوع الإلهيّات ويصول، حتّى إذا ما وصل إلى فعل الكلمة وأبعادها ودلالاتها وجد القارىء نفسه أمام واحد من أجمل فصول الكتاب لجهة تفسيره اللاهوتيّ لمعنى الكلمة الأقنوم والكلمة التعقّل. إنّه واحد من اشراقات السمعانيّ الجامع بين اللاهوت والفلسفة والأدب. وهذا الجمع المميّز يبقى الصفة الغالبة على كتاب الإلهيّات. هذا الكتاب الذي يشكّل محاولة جادّة لبناء فكريّ متراصّ ونافذ، يردّ على المقولة التي تحصر السمعانيّ بفهرسةٍ للكتب، أو تحدّده بمنظّمِ المجامع وواضعِ قوانينها، وتطرحه اليوم مفكّراً رئيساً من مفكّري النهضة وعصر التنوير الذي امتدّ شعاعه من لبنان على المشرق العربيّ منذ القرن السابع عشر.

أيّها السادة،

السمعانيّ اليوم يولد بيننا ثانيةً: ولادةً فكريّة رائدة، وولادةً نهضويّة مشعّة. وتحتفل جامعة سيّدة اللويزة معه اليوم بإضاءة مصباح من مصابحيه المتعدّدة وبتقديمه إلى الغرب باللغة الإنكليزيّة، ولأوّل مرّة، تأكيداً لدورة لبنان الحضاريّ، وبلغةٍ ترفض صراع الحضارات وتدعو إلى الحوار والتلاقي المصالحة، لا بين وجوه الإنسانيّات وحسب، بل بين الإنسانيّات والإلهيّات.

..وفي المعرض السنويّ للكتاب الذي تنظّمه الحركة الثقافيّة – أنطلياس، كان لكتاب الالهيّات أيضاً موقعه ووقعه، وقد وقّعه مقدّمه الدكتور الريحاني.

وكان في الأثناء، يوقّع الأستاذ سهيل مطر سلسلة مؤتمرات الشأن العامّ، والأستاذ أنور صابر الأجزاء الثلاثة من عمله الطموح العذراء مريم في لبنان.

المشروع هي إحياءٌ للتراث، لا إيحاءً شكليًّا سرعان ما يزول، بل عن طريق الدعوة إلى إعادة قراءته قراءة تحليليّة نقديّة خلّاقة. والجامعة في طليعة المؤسّسات الفكريّة والثقافيّة المدعوّة إلى مثل هذا الإحياء المبدع لنتاجنا ولذواتنا منذ أجيال وأجيال.

ونشر المخطوطات على **الصعيد الوطنيّ** يعني، في ما يعنيه، تعزيز مبدأ الانتماء، ليس إلى مجرّد أفكار تجريديّة مطلقة، بل إلى حقائق ملموسة ومعزّزة بإرث تأليفيّ وفير ومجموعة من المؤلّفين الطليعيّين الذي حملوا المشعل الأوّل من مشاعل النهضة الفكريّة في لبنان والمشرق العربيّ. فغير صحيح أن نؤرّخ لحركة النهضة منذ مطلع القرن التاسع عشر في لبنان أو في مصر. وغير صحيح أن ننسب تلك الحركة المباركة إلى حملة نابليون في الشرق أو إلى مدارس الإرساليّات في لبنان. بل الصحيح أنّ عصر التنوير الذي امتدّ بشعاعه الفكريّ والأدبيّ ليؤسّس لحركة النهضة العربيّة إنّما انطلق من لبنان منذ القرن السادس عشر، وبالتحديد مع كوكبة من خرّيجيّ مدرسة روما المارونيّة الذين غرفوا من معين المعارف والعلوم الأوروبيّة لعشرات السنين، ثمّ عادما بزادٍ وفير يضيئون به سراج المشرق تأليفاً بالعربيّة والسريانيّة واللاتينيّة والإيطاليّة. هؤلاء الآباء المنوّرون لم يحصروا اهتمامهم في مجال واحد من مجالات المعرفة وضروبها، فألّفوا في اللاهوت والفلسفة واللغة والأدب والتاريخ والطقوس الكنسيّة ما جعلهم يبنون مدماكاً فوق مدماك في عمارة تراثنا الوطنيّ. لذا، فإنّ الغاية الوطنيّة من هذا المشروع هي تعزيز تراثنا المعروف بتراثنا المجهول، بعد الإضاءة على تفاصيله من خلال مخطوطات لم تنشر بعد، فكان أن قام فريق الباحثين في الجامعة بتسليط الضوء العلميّ عليها، وذلك بالعودة إلى أصولها وضبط تلك الأصول ثمّ نشرها بعد وضع المقدّمات الدراسيّة حولها بالعربيّة والإنكليزيّة.

أخيراً، أودّ أن أشرح سبب نشر المقدّمات بالإنكليزيّة إلى جانب العربيّة. لقد اعتبرنا أنّ جامعة سيّدة اللويزة، لكونها الجامعة الكاثوليكيّة الوحيدة في لبنان والشرق الأوسط، التي تدرّس جميع برامجها باللغة الإنكليزيّة، وتطبّق النُظُم الجامعيّة الأميركيّة، إنّما الأولى بها أن تأخذ على عاتقها تعريف الغرب ببعضٍ من تراثنا الفكريّ، وبخاصّة الغرب الناطق بالإنكليزيّة، وبالخصّ الولايات المتّحدة الأميركيّة، التي نعرف الكثير عنها ولا تعرف سوى النذر اليسير عنّا.

مهمّة هذا المشروع، أيّها السادة، أن يعيد وضع لبنان من جديد على الخريطة الفكريّة الدوليّة.

ثمّ تكلّم الدكتور أمين أ. الريحانيّ ملقياً الضوء على «كتاب الإلهيّات» للسمعانيّ قال:

تضمّ مكتبة جامعة سيّدة اللويزة نحو ألف وثلاثمئة مخطوط، تتوزّع بين مركز الجامعة في زوق مصبح ومكتبة الرهبانيّة المارونيّة المريميّة في روما. وإذا اعتبرنا أنّ خمسة وعشرين في المئة من هذا العدد يستأهل النشر، فمعنى ذلك أنّ نحواً من ثلاثمئة مخطوط تجب مراجعتها ودراستها ونشرها. إنّ عمليّة اختيار المخطوط تأخذ بعين الاعتبار الموضوع وتاريخ التأليف والوضع الشكليّ للنصّ، أي إذا ما كان تامًّا ومقروءاً بصورة واضحة وتامّة.

واختيارنا للسمعاني جاء بعد اختيارنا ونشرنا لمخطوطين هما: **الإيساغوجي أو المدخل إلى المنطق** للأب **بطرس التولاويّ** الذي وضعه عام ١٦٨٨، ثمّ **مفكّرة المطران عبدالله الخوري**، عضو الوفد اللبنانيّ إلى باريس قبيل إعلان دولة لبنان الكبير عام ١٩٢٠. ففي كلّ مخطوط يُنشر، إضاءة على جانب من جوانب المعرفة. فبعد إضاءة علم المنطق مع التولاويّ، عمدنا إلى إضاءة تاريخيّة وطنيّة مع عبدالله الخوري وصولاً إلى الإضاءة الفلسفيّة واللاهوتيّة مع السمعاني.

وضع السمعانيّ **كتاب الإلهيّات** عام ١٧٠٨، وها هو اليوم يولد من

فالتاريخ هو المنبّه على عطيّةِ الذات، في امتدادات الوجود المتمايز في الزمان والمكان.

أتراني أفلسف مفهوم التاريخ وأحمّله أكثر ممّا يحمل؟ ربّما. لكنّني أرى أنّ ما قام به الأباتي فهد – رحمه الله – كان صرخة في وجدان هذا الشعب ليعي عظمة تاريخه وأماناته. هذا كان في **الأمانة للعلم**، وبالتالي الأمانة للإنسان.

أمّا في الأمانة للروح، فالأمر سيّان.

في الأمانة للعلم، جمع الأباتي فتات المعرفة وحقائق التاريخ ليقدّمها معجناً سخيّاً على موائد جياع الحقّ.

أمّا جياع الروح، وهو واحد منهم، فكما فعل الرسل في تجرّد البدايات، فعل هو: وضع كلّ غناه عند أقدام **السيّد**، واعتنق مقولة **المعلّم**: «طوبى لمن ليس له حجر يسند إليه رأسه».

كنتُ أخاً ناذراً، عندما عرفته، في بشاشة تتلألأ على وجه طيّب، فيه براءة لا تقاوم، رغم النضج الإنسانيّ المهيمن على كلّ وجوده.

هذا الراهب الدؤوب، الذي تعب منه العلم والكرسيّ والمكتب والمحبرة والأوراق... هو لم يتعب، لأنّ فيه حبّاً لا يقاس وغيرة تشبه اشتعال علّيقة حوريب.

فالصدق والمحبّة،

وقدسيّة العمل،

والسلام والمثل الصالح،

هي من «**شريعة الربّ**»، التي عاشها آباء لنا، بالإيمان بها والأمانة لها.

لقد نذروا نفوسهم قبل أن يبرزوا نذورهم، عاشوا كأنّهم منذورين لحضور الربّ فيهم وفي الجماعة، كأنّهم بيوت القربان: مكانٌ لحضور الله وتجلّيه؛ أو كأنّهم ليسوا من هذا الدهر إلاّ للشهادة.

فأناس هذا الدهر يحبّون الحياة ويتشبّثون بها، وكأنّما هي رحلة لذائذ.

أناس هذا الدهر يريدون البقاء في زمان الشروق، كأنّما الحياة لا تميل إلى الغروب.

الأباتي فهد أحبّ الحياة ككلّ إنسان. لكنّه كان يرى فيها ساحة جهاد، ودرب اسكشاف لوجه الله.

عاش يتحرّر من عبوديّاتها،

ومن استعبادها،

لا يثنيه جور ولا ظلم ولا شقاء،

ولا تغريه مطامع وأهواء وشهوات،

ولا يأسره شكّ وريبة وجهل وحيرة؛

فما نَشَدَ غنىً إلاّ محبّة الله وشرف خدمته،

ولا أذلّ نفسه لضَعة،

ولا تكبّر أمام مجدٍ باطل أو رفعةٍ بائرة.

كان دائم التفتيش... كأنّه أغوسطينس في «فرح تفتيشه عن الحقيقة».

الأباتي فهد عرف أن يختار حقيقته، «فكانت لـه الـنصـيب الأفضـل»، كـمـا قـال الـربّ. لقد كانت حياته **إصغاء للروح**، فعرف من المعلّم:

أنّ الحياة عطيّة، عليه أن يضاعف وزناتها، وأنّ الموت ليس **خاتمة** بل **فاتحة**، وأنّه ليس **نقمة** ولا **نعمة**؛ فلا توهّم فيه **الفناء**، وما اعتبره إلاّ باباً **للبقاء**.

أربعون رجل الله الرّاهب العالم
الأباتي بطرس فهد

محبّون وقادرون، من رهبانيّة وجامعة وأهل وأصدقاء، التقوا صبيحة الأحد، السادس من نيسان ٢٠٠٢، حول مذبح الربّ، لالتماس الرحمة لروح الأباتي بطرس فهد في الذكرى الأربعين لغيابه.

خلال القدّاس، ألقى الرئيسُ العامّ للرهبانيّة المارونيّة المريميّة، **الأباتي فرنسوا عيد**، عظةً، جاء فيها:

أربعون يوماً مرّت على رحيل المرحوم الأباتي بطرس تامر فهد ولا تزال رسائل المعزّين والمقدّرين لفضائل هذا الفقيد وعلمه تصلنا متذكّرة خصائله الطيّبة من علم وفهم ومحبّة وحكمة.

ونحن اليوم، رهبانيّة وأهلاً وأصدقاء، نجتمع بدعوة من جامعة سيّدة اللويزة، لنتذكّر هذا الوجه النبيل الطيّب، فنصلّي لأجله بإيمان ورجاء، طالبين أن يظلّ ذكره، أمام الله والنّاس، حيّاً إلى الدهور.

هناك نسّاك، تكرّسوا للمطلق في شقوق الأرض والمغاور والمعابر والجبال، منسيّون، مجهولون...

وهناك نسّاك من نوع آخر، تكرّسوا للعلم والمعرفة والبحث، كأنّه الله وضعهم نبراساً ينيرون دروب الآخرين إلى الهدى والمعرفة.

والأباتي بطرس فهد واحد من هؤلاء:

تحدوه محبّة العلم والتنقيب في بطون المكتبات، بدأ باكراً يستجلي مخطوطاتها ويزيل عنها غبار النسيان ليكشف لنا، ولمن سيلحقنا، تراثاً غنيّاً بناه أجدادنا، يحثّنا، ليس على الافتخار وحسب، بل على السير قدماً على دروب تجلّيات الروح والمعرفة وخدمة نقلها للآخرين، كما سعى علماء الموارنة، فصاروا الخمير في عجين هذا الشرق.

لقد امتاز الأباتي بطرس فهد بالأمانتين: لله وللإنسان؛ لكنّه كان يعلم أنّ الأمانة لله، الذي منه كلّ عطيّة، تمرّ بالأمانة للكنيسة، التي فيها أعلن تكريسه، فقدّم، من خلال الرهبانيّة المارونيّة المريميّة، أثمن ما وهبه الله: قلبه وعقله.

والتكرّس في مداه الإنسانيّ الأرحب كان يفهمه الأباتي فهد رسالة خلاص وتحرّر لكلّ إنسان. لذا، عمد، من خلال التفتيش والتنقيب العلميَين، إلى جلاء حقائق تاريخ هذه الكنيسة، التي إليها ينتمي، والتي وحّدت هذا الشعب وكرّسته وقدّسته وحافظت على إيمانه وإنسانيّته، وإلى جلاء حقائق تاريخ هذه الرهبانيّة، التي بذلت نفسها لاطّراد ترقّيه الإنسانيّ والروحيّ الأكمل.

■ جلاء التاريخ هو جلاء لشخصيّة شعب. إنّه كشف لنتاجه الفكريّ والماديّ والروحيّ، الذي يكسبه صفة فريدة وخصائص مميّزة: **إنّه هويّتُه.**

■ وجلاء التاريخ يوضح مراحل تجلّي هذا الشعب الإنسانيّ في أبعاده كلّها؛ وبذلك يكسبه معرفة لذاته الفرديّة والجماعيّة: **إنّها ذاكرتُه.**

■ وجلاء التاريخ في هذا الإطار الجغرافيّ الثابت هو التأكيد على انغراس هذا الشعب وترسّخه في هذه الأرض: **إنّها جذورُه.**

■ فكلّ شعب له هويّته الثابتة، لا يستطيع أحد أن يلصق به هويّة غريبة عنه؟.

■ وكلّ شعب متعلّق بذاكرته الجماعيّة والفرديّة، لا يستطيع أحد أن يفقده القدرةَ على معرفة ذاته.

■ وكلّ شعب مترسّخ في جذوره، لا يستطيع أحد اقتلاعَه أو استئصالَه من أرضه.

وكلمة الأصدقاء قالها الشاعر سعيد عقل، ومنها هذا المُقتطَفَ من مُرتَجل:

ذات يوم رأيته، فشمتُ في وجهه طلعةَ الفهد وسمةَ التواضع، وظننتُه كاهناً علمانيّاً أو راهباً. وعندما سألته عمّن يكون، قال باعتزاز: أنا راهب.

ثمّ ذات يوم آخر، وقد عرفته، قلت له: أريد أن أتلكّم عن كتبك: فلم يحرّك ساكناً أو يُظهر أيّ إعجاب. وأضفت... فما توقّف إلاّ عند تأكيد قولي: صحيح ما تقوله عنّي إنّي فهد وراهب. وصار من بعد، وكلّما التقيته، يفاخر أنّه راهب.

وإذ حدّثتني نفسي أن أكتسب منه أشياء لاهوتيّة، وبادرته بالقول: يا بيّي فهد... قال لي: من الواضح أنّك تفهم في اللاهوت، لأنّ المسيح أتى إلى الأرض ليعلّمنا أنّ الله «بَي». وكم كان يُفرحه أن أنادَيه: يا بيّي فهد!

وعن سؤاله عن أعظم يوم في حياته، قال: يوم نذرتُ العفّة والطاعة والفقر. واستطرد أنّ العفّة هي أمُّ كلّ الفضائل، والراهب إنْ هو إلاّ العفّة، التي تؤخذ من اثنين: المسيح وأمّه. وصرتُ، كلّما رأيته، أشعر أنّه يقول لي: أنا راهب؛ وهذه الكلمة تعني العفّة!

وحدّثني بيّي فهد، بين ما حدّثني عنه، عن المسيح الشاعر: هو الذي شاء أن يجتمع حوله الأطفال بحلل البراءة، ورأى في الزنبقة جمالاً لم يلبسه سليمان، واستطاب الطيبَ تريقه المجدليّة على قدميه، وَمثّلَ على النملة تسعى إلى قوتها وهي تحت الدّعس... وكأنّما يقول لي: أين أنتَ منه شاعراً!

ولكم قال وتعلّمت...

أنا راهب.
والراهب
هو العفّة.

فما فرح أمام الحياة، لأنّ الآتي إليها هو مولود للموت،

ولا تفجّع أمام الموت، لأنّ الذاهب إليه هو مولود على الحياة.

فحياته كانت كأغنية جدول الشاعر يوسف السقلاوي:

«من البحر خرجت وإلى البحر أعود،

المحبّة تلدني والشوق يعيدني» (غليان ص ٢٣).

هكذا عاش هذا النبع العالم مرتوياً من نعم الله وعطاياه.

سار إلى لقاء البحر العظيم منحدراً بين المعابر: فتارةً يتهشّم بين الصرود، وأخرى ينساب حاملاً الارتواء لخلق الله أجمعين.

باسم الرهبانيّة والعائلة، أشكر الله على كلّ النعم والعطايا التي وهبها لهذا الكاهن العالم والراهب الصالح.

ألا وهبنا الربّ أمثاله، كهنةً قدّيسين وعلماء،

يصبحون شهوداً للحقيقة،

ومثالاً للفضيلة،

ومناراتٍ على دروب الله والإنسان.

وبعد القدّاس، كانت ثلاث كلمات: للجامعة، والأصدقاء، والعائلة.

كلمة الجامعة قالها الأستاذ سهيل مطر:

... ونحن نشارك في القدّاس، خلثه، في عليائه، يشارك معنا ويصلّي.

الأباتي فهد، إنْ حكى، اليوم، تُراه ماذا يقول؟

تعالوا نستحضرْ معاً كلماتِه، ونستمعْ إلى فصل من رسالة الأباتي فهد إلى أهل الأرض، وبارك يا سيّد:

يا أحبّائي

من عالمي الجديد، أتوجّه إليكم، بوصايا سبع:

الأولى: سقط الزمان. لا أربعون يوماً، ولا أسابيع، لا شتاء، ولا ربيع... امّحت حدود الوقت، منذ انتقلت عنكم، وأنا بينكم. وصيّتي اليكم أن تنتصروا على محدوديّة الزمان.

الثانية: سقطت الجغرافيا... لا حدود لبلدة، لوطن، لمنطقة... زالت الحدود، امّحت الأعراق والقوميّات والألوان، بقي الانسان. أحبّوه، ولا تميّزوا: إنّه ابن الله.

الثالثة: القلم الذي تركته على الأرض، هو قلم كلّ واحد منكم، اكتبوا به الحقّ والحقيقة... حطّموه أن تَبشّع أو انحرف أو سقط تحت شهوة ومال. احفظوا له البراءة والصدق، وليكنْ السيفَ في خدمة الله والانسان.

الرابعة: البلدة التي انحدرتُ منها، وحملتُ في جسدي بعض صلابة سنديانها والصخور، احفظوا لتربتها، لعشقوت، الكرامة والحبّ، ولا تفرّقوا عائلة عن عائلة، وبيتاً عن بيت، وأخاً عن أخ... كلُّهم، هنا، أبناء الله، ولا علامات فارقة أو ملامح معاكسة... وما جمعه الله، في بلدة واحدة، لا تفرّقه شهوة أو منصب أو عصبيّة زائفة.

الخامسة: الرهبانيّة التي إليها أنتمي، والتي انسكبتُ فيها، جسداً وروحاً، وانسكبتْ فيّ قدراً وتراثاً وخدمة، هي الأم الأحنّ والأوفى والأكرم، في عالم الفساد والعنف والأنانيّة. احفظوا، يا أحبّائي، أصالة الاسم ولا دنس: فهي مارونيّة، ومن مارون استمدّت النسك والفقر والحريّة؛ وهي مريميّة، ومن مريم استمدّت العفّة والطهارة والتضحية. أمناء عليها كونوا وأوفياء.

السادسة: الجامعة التي دعانا الله، منذ خمس وعشرين سنة، سنة ١٩٧٨، إلى احتضانها حلماً ورديّاً وطفلة تحبو، تحوّلت الى حقيقة، نمت وكبرت وترسّخت، ثقافةً وقيماً وحضوراً وطنيّاً؛ وهي اليوم، الأبقى والأنقى والأرقى. وصيّتي لكم: تابعوا الطريق، نوّروها بشموع الإبداع، زيّنوها بياسمين الطهارة وتواضع اللويزيّات الطيّبات وبركة الزيتون والنعناع، لا تبخلوا بحبّ عليها، فهي تستحقّ.

الوصيّة السابعة: أخصّ بها التراب، ومنه وإليه نعود. هذا التراب في أرض لبنان المباركة، لا ليُهمل ولا ليُهجر، ولا ليُؤجّر. منذ ١٦٠٠ سنة، ارتبط اسمنا، كأبناء مارون، بهذه الأرض، ولا بديل عنها، لا عن إيمانٍ فحسب، بل عن انتماء أنطاكيّ مشرقيّ يجمع بين الله والتراب والإنسان. بهذا الانفتاح الحرّ ننظر إلى من حولنا، إلى العراق وفلسطين، ولا نخاف. لا تخافوا، صلّوا معي، من أجل الإنسان والتراب. والبركة معكم والمحبّة.

وابتسم الأباتي فهد، وتوارى... بعيداً في عالم المستحيل.

يا أيّها الراحل العزيز والكبير

الرسالة وصلت.

باسم هذه الجامعة، باسم رئيسها الأب بطرس طربيه، باسم أسرتها أساتذة وموظّفين وطلاّبها، باسم الأمناء عليها والأصدقاء، أقول لك: شكراً، سنحافظ على الوديعة والذخيرة والجامعة. ومعك سنصلّي، لكلّ الذين ساهموا في تحقيق حلم هذه المؤسّسة، وأخصّ بالصلاة الكبير الغائب بيار أبو خاطر، وسيبقى مبنى «Fahed Hall» أيقونة نقف أمامها، لنصلّي:

طوبى لصانعي السلام، لأنّهم أبناء الله يُدعون.

ونتقدّمُ، باسم عائلة الأباتي بطرس فهد، منهم ومن سائرِ الرهبانِ الأعزّاء، بالشكرِ والتقديرِ، لِما أظهَروا مِن محبّةٍ خالصَةٍ ووفاءٍ نبيل. ونشكرُ جامعةَ سيّدةِ اللويزة بشخصِ رئيسِها الأب بطرس طربيه. كما نشكرُ شاعرَنا الكبير الأستاذ سعيد عقل على دُرَرِ الكَلامِ وسُمُوِّ العاطفةِ. ونشكرُ الصديقَ الأستاذ سهيل مطر الذي تكلّم باسم إدارةِ الجامعة وأساتِذتِها ومجلس أمنائها ورابطة أصدقائها، ونشكر جميعَ الذين شاركونا اليومَ الصلاةَ والاحتفالَ من رسميّين وأصدقاء.

وإنْ ننسَ لن ننسى الراحل الكبير بيار أبو خاطر الذي تبقى ذكراه الطيّبة دائماً في نفوسنا.

عمّاه، ليتك بقيتَ بيننا، ولكنْ حسبُنا أن تكونَ شفيعاً لنا في السماء.

إلى روح المؤرّخ المشهور والأباتي الغيور
بطرس فهد الرئيس العامّ للرهبانيّة المريميّة المارونيّة

يا معتني بميّه وخمستعشر كتاب — وكان عندك جهد تكتب بعد
من السما عَ هالعطا نلت الثواب — وعالأرض ذكرك يا أباتي فهد..

في رئاسة رهبنه وأديار — بلبنان وبروما وبكل ديار
جنب الكتابه نهضت بالعمران — وعشت قدوه لكافّة الرهبان

وشْقَعْت عا بيادر الخير غمار..

لْعَيلتك، والرهبنه، وعشقوت — أخلص تعازي الشاعر الحَبّك
المِتْلَك بيترك ذكر ما بيموت: — بعد العطا ارتاح بحضن ربّك..

إميل نون
أمين سرّ عصبة الشعر اللبنانيّ

وأخيراً، قال القاضي د. جان فهد كلمةَ العائلة:

«أروحُكَ تُرفرفُ ها هنا أم طيفُكَ يَجول؟

أَم أنتَ، كما عِندَنا، تِسكُنُ القلوبَ والعقول؟

لم نَشْعُرْ بوجودِكَ مرّةً، عمّاه، كما نَشْعُرُ به مذْ فارَقْتَ وانتقلَت.

مذ فارقْتَ وانتقَلتْ، زاد حضورُكَ بيننا، بَلْ زادَ حُضورُكَ فينا.

أَسْتَأْذِنُكَ اليومَ، أن أُناديَكَ عمّاه، لا «أبونا بطرس».

فإنْ فَقَدَ الرُهبانُ فيكَ راهباً عَفيفاً طائعاً تقيّاً فقيراً، ورئيساً خادماً متواضِعاً مِقْداماً، فقد خَسرنا نحنُ فيكَ عمّاً، محبّاً حنوناً حازماً، غيوراً مرشداً جامعاً؛ وقد كُنتَ لنا ولهم القدوةَ والمثال.

حاضرٌ، أنتَ عمّاه، في صلاتِنا اليوميّة... فما صَلَّيتُ مرّةً بعد رحيلِكَ إلاّ غمرَتْ عيناياَ كتابَ صلاتِك، هذا الكتابُ الذي تركتَ منه في كلّ بيتٍ من بيوتِ الإخوةِ والأخواتِ نُسخةً باتَتِ اليومَ رمزَ الأمانةِ على الصلاة، ومنبعَ التقوى والإيمانِ للأولادِ والأحفاد. ومَنْ منّا لا يَذْكُرُكَ تَنفردُ عن الاجتماعِ العائليّ، أينما كنتَ، لتُصلّيَ صلاةَ الغروب؟ مَنْ منّا ينسى بركةَ زواجِه أو عمادَ أولادِه، وقد عَمّدْتَ وَزَوَّجْتَ الآباءَ والأولادَ والأحفاد؟!

حاضرٌ، أنت عمّاه، في علاقاتِنا اليوميّة... نتذكَّر، أمامَ كلِّ حدث أو مشكلةٍ، كيفَ كنتَ لا تُساومُ على الحقِّ ولا تُمالِقُ الشرّ. كُنتَ مُتسامِحاً غيرَ مُتساهِل. تَرْحمُ المخطئَ، لكنَّكَ لا تَتغاضى عن الخطأ حتّى ولو صدَرَ عن أقربِ المقرّبين وأعزِّ الأعزاء.

حاضرٌ، أنت عمّاه، كلّما راقَبْنا أولادَنا يدرسون، وقد كنتَ في طفولتِنا تهتمُّ بدروسِنا وتتابعُ أخبارَ نتائجِنا. وَرُغْمَ كثرةِ الأولادِ والأحفاد، بَقِيتَ ترافقُ نُموَّ أولادِنا وتراقِبُ سلوكَهُم خلالَ زياراتِكَ، وتُلاعِبُهم وتُحاورُهم فَتَملأُ قلوبَهم هَناءً وارتياحا، وتبقى

في عقولِهم رمزَ المهابةِ والوَقار.

حاضرٌ أنتَ كلَّما دَعَتْنا الحياةُ لاتّخاذِ قرارٍ مصيريّ أو الإقدامِ على مشروعٍ طَليعيّ، فنتذكَّرُ أنّكَ علَّمْتَنا، بالسيرةِ والمثال، أن نَتَّكِلَ على الله، ونُؤمنَ بقوّتِه، ونَطلبَ مشيئتَه، وننتظرَ إلهامَه. وسيّدةُ اللويزة، ها هنا، تَشهدُ كيفَ حَملتَ سُبْحَتَكَ وصلَّيت، صلّيت أمامَها: «لِتكُنْ مشيئةُ ابنِكِ، لِتَكُنْ مشيئةُ ابنِك في المشروع الذي نحنُ عَلَيْه مُقْبِلون».

واتخذْتَ القرارَ مع معاونيك وأَقْدَمْتُم... وكان مركزُ سيّدةِ اللويزة للتعليم العالي. هذا المركزُ الذي أصبح، بهمّةِ أمثالِكَ من الرّهبان الأجلاّء، جامعةَ سيّدةِ اللويزة، التي تجمَعُنا في ذِكراكَ اليوم.

حاضرٌ، أنت عمّاه، في قلوبِ عارفيكَ وأهالي عشقوت. فكُلَّما التقى أحدَنا واحدٌ منهم كان على لسانه عنكَ كلام، وفي عينيه بريقُ ذكرى استقبالٍ أو أَثَرُ نصيحة.

حاضرٌ، أنت عمّاه، في كلّ لقاء عائليّ وكلّ مناسبة...

حاضرٌ بعينيك تشعّان محبّةً وعطاءً...

حاضرٌ بلِسانِك ينضحُ حِكْمةً وإيماناً...

حاضرٌ بوَجْهِكَ البَشوش، ولحيتِكَ المهيبَة، وطلّتِكَ البَهيَّة.

عمّاه! أيقولون التسعينَ شيخوخة؟! لا. تسعينُكَ شباباً كانَت وعطاءً.

شباباً أَبى إلاّ أن يَسكُنَ في ديرِ الابتداءِ، دير الحريق في عشقوت، مع الشبابِ يخالِطُهم يَتجدَّدُ فيهم، ويتجَذَّرون فيه. عِشْتَ بينهم فقيراً طائعاً كريماً مِضيافاً مُمارساً مُؤمناً، فكانَتْ شهادتُكَ الحيَّةُ تجسيداً لما يَنتظِرُهم من نذور.

وتسعينُك عطاءٌ، ظلَّ يَفيضُ كِتابةً وتأريخاً حتّى آخرِ رَمَق.

التزمْتَ تكريمَ الذين خَدموا الرهبنةَ والكنيسةَ والوطنَ، وكَشَفْتَ عن كثيرٍ من المَغْمورين، فأَخْرجْتَهم من ظُلْمةِ المحفوظاتِ إلى نورِ الشُّهرةِ والتقدير. فأحْبَبْنا، من خلالِك، الرهبنة والكنيسة ورجالَ الدين. وقدَّرنا من خلالِ كتاباتِكَ فَضْلَ الرهبنةِ والكنيسةِ ورجالِ الدين على الشعب والوطن.

عمّاه، حين زُرتُكَ، بضعةَ أيّامٍ قبلَ رحيلِك، رأيتُكَ تخلَّيْتَ عن كلِّ مُقْتَنياتِ هذه الدُّنيا ولم تُبقِ معك إلاّ جُبّةَ الراهبِ وسُبحةَ الصلاة. وفارَقْتَ وفيّاً لنذورِكَ في العفّة والطاعة والفقر، كما سائرُ إخوتِكَ في الرهبنة المارونيّة المريميّة، كأَنّك تردِّدُ وتقول: ها أنذا يا ربّ، الراهب بطرس، أَرُدُّ وَزناتي مُضاعَفةً، وحسبيَ أَنْ أحتَفِظَ يا ربُّ برحمتِكَ ورِضاك.

ها أنتَ ماثلٌ أمامنا راهباً مارونيّاً مريميّاً، لا غشَّ فيه، أميناً لتعاليم الرهبنةِ التي التَحَمَ تاريخُها بتاريخِ الكنيسةِ ولبنان، وَعَمَّ فضلُها في تربيةِ الأجيالِ، جيلاً بعدَ جيل؛ وقد كان للعديدِ منّا شرفُ التخرّجِ من مدارسِها أو جامِعَتِها، وما زِلتُ شخصيّاً متأثّراً بتربيَتِها مطبوعاً بروحها.

وفّقَ اللهُ الرئيسَ العامّ قدس الأباتي فرنسوا عيد ومجلسَ المدبّرين في متابعةِ الرسالة.

عن الجوار الإقليميّ، تنطلق السياسة الخارجيّة التركيّة من معطى استراتيجيّ مركزيّ هو رفض قيام دولة كردستان الكبرى، وتالياً رفض قيام دويلة كرديّة في شمال العراق. هذا على رغم عضويّة تركيا في حلف شمال الأطلسيّ خءشد، ومصالحها الاقتصاديّة والأمنيّة مع الولايات المتحدة. وبصرف النظر عن طبيعة الحكومة التركيّة، قوميّة كانت أم إسلاميّة أم يساريّة... فإنّها ملتزمة بهذا المعطى الاستراتيجيّ. أمّا الموقف السوريّ فإنّه يبدو صامداً وهادفاً، من جلسات مجلس الأمن الدوليّ في نيويورك إلى الحدود السياسيّة بين سوريا والعراق في قلب بادية الشام. فالظروف اليوم مختلفة عن تلك التي سادت أيّام حرب الخليج الثانية بعد الغزو العراقيّ للكويت. وتدرك دمشق أنّ أهداف الحملة الأميركيّة- البريطانيّة ليست فقط إسقاط نظام صدّام حسين، وليست مقتصرة على نزع أسلحة دمار شامل (غير موجودة) في الداخل العراقيّ، ولا هي تندرج في إطار الحملة العالميّة لمكافحة الإرهاب بعدما جرّدت الولايات المتحدة وبريطانيا حملة عسكريّة من خارج الشرعيّة الدوليّة، وبصورة فجّة لم يعهدها النظام الدوليّ منذ حديث جورج بوش الأب عن قيام «نظام عالميّ جديد» لم يتحقّق إلى اليوم!

تدرك دمشق ومعها طهران، أنّ الحملة المصطنعة على الإرهاب لن تدرك الإرهاب الحقيقيّ الموجود في إسرائيل، حيث ترسانة الأسلحة الاستراتيجيّة، وحيث الإرهاب اليوميّ مع احتلال بشع. وتعرفان معاً أنّ الحرب على أفغانستان، والحرب الراهنة على العراق، وأيّة حرب مستقبليّة تحت شعار مكافحة الإرهاب... هي من أجل الهيمنة على الثروات والمواقع.

على ذلك، يبدو الإصطفاف الشعبيّ- العربيّ والإسلاميّ- واضحاً في خندق رفض الحرب الأميركيّة- البريطانيّة، بل مواجهتها، والعمل على وقفها بكلّ السُبل. هذا ما يفسّر لقاء علماء قم، وعلماء النجف هذه المرّة بدون ضغوط الحاكمين وانسجامهم مجتمعين مع موقف فاتيكانيّ تاريخيّ، أسقط مقولة «صراع الحضارات» أو «صراع الأديان» كما يريد غلاة الصهاينة الإنجيليّين، وهم قلّة داخل الولايات المتحدة.

على الصعيد الدوليّ في بعده القانونيّ، لن تنتفي الحاجة إلى التنظيم الدوليّ ممثّلاً بالأمم المتحدة. إذ على رغم رضوخ أمين عام الأمم المتحدة كوفي أنان لموازين القوى الدوليّة عندما تحدّث عن وقف معاناة ضحايا الحرب، من دون أن يتطرّق إلى هدف وقف الحرب، وهو الذي أشار قبل أسابيع إلى عدم شرعيّتها إذا وقعت بدون قرار من مجلس الأمن يبرّرها أو يسوّغها، فإنّ القوى الدوليّة ستعود مجدّداً إلى دائرة الأمم المتحدة، سواء في مجلس الأمن أو في الجمعيّة العامّة، للبحث عن حلّ وللإشراف على حفظ السلام، أو لتمكين العراقيّين من إدارة شؤونهم الداخليّة، ولتمكين غيرهم من مساعدتهم. إنّ الأمم المتحدة هي حاجة وضرورة معاً، هذا على رغم الحاجة الماسّة لضرورة تطويرها قانوناً وواقعاً.

على صعيد آخر، تتأكّد حقيقة رفض القوى الدوليّة لنظام القطب الواحد والهيمنة الأميركيّة. وكانت الحرب على العراق مناسبة دوليّة وعالميّة لتجديد هذا التأكيد، واعتبار نظام القطب الواحد بمثابة استثناء للقاعدة الدوليّة التي تأسّست على الثنائيّة أو التعدديّة في أغلب الأحيان والمراحل. على هذه الخلفيّة السياسيّة والاقتصاديّة والأمنيّة نقرأ المواقف الروسيّة والفرنسيّة والألمانيّة والصينيّة وغيرها. ولا تحجب تجاذبات المصالح الدوليّة، أو الصفقات الدوليّة، هذه الخلفيّة في وقف ضغط الإدارة الأميركيّة على القوى الأوروبيّة والآسيويّة حتّى تدخل معها في سياسة توزيع مغانم السيطرة على العراق والخليج، ولكن بإشراف أميركيّ.

إلى ذلك، هناك ظاهرة تنامي رأي عام عالميّ معادٍ للحرب، أو هو رافض للحرب. إنّها ظاهرة عالميّة، وحتّى غربيّة مطالبة بالسلام، بعدما صارت تعلم الأهداف الاستراتيجيّة للإدارة الأميركيّة من وراء هذه الحملة العسكريّة، وتشكّك بأهداف البيت الأبيض المعلنة. وما الرأي العام اللبنانيّ إلاّ جزء من هذه الظاهرة.

في هذا المناخ حصلت، وتحصل، تظاهرات في بيروت، وإنْ كانت لم تصل إلى مستوى التظاهرات التي حصلت في القاهرة والمنامة والخرطوم وصنعاء ونواكشوط... وربّما خرج بعضها عن الإطار الحضاريّ مع مهاجمة سفارات دول عربيّة خليجيّة في بيروت، فرضت عليها ظروف حرب الخليج الثانية مواقف أمنيّة وسياسيّة معيّنة. فالعلاقات اللبنانيّة- الخليجيّة طيّبة، ولم تعكّر صفوها في الماضي القريب حوادث ومتغيّرات إقليميّة ودوليّة. ولا توجد أيّة مصلحة لبنانيّة في تراجع هذه العلاقات، بل إنّ المصالح المشتركة تقضي بإبقائها في دائرة المصالح المشتركة، ومن داخل البيت العربيّ، على رغم ما تعصف به من رياح عاتيه. هذا مع الاعتراف بصعوبة ضبط تفاعلات الشارع اللبنانيّ والعربيّ، إذا طال أمد الحرب، وتزايد عدد الضحايا والخسائر في صفوف الشعب العراقيّ.

ما يزيد من أهميّة تحرّك الشارع اللبنانيّ، وجود رأي عام مسيحيّ له ثقل في الغرب الأوروبيّ بصورة خاصّة. فبينما تدعو الحكومة اللبنانيّة إلى قيام تحالف عربيّ- أوروبيّ لمواجهة نتائج الحرب، وفي ذلك حذر من هذه النتائج المتوقّعة، وما قد تحمله من مفاجآت مؤثّرة في لبنان المتاخم لإسرائيل، ينبّه البطريرك المارونيّ نصرالله صفير إلى خطورة ما يجري عندما يصبح الإنسان بلا

د. عدنان السيّد حسين
أستاذ العلوم السياسيّة
في الجامعة اللبنانيّة

أبعاد الحرب على العراق

لا نبالغ إذا قلنا إنّ الحرب على العراق ستعيد فرز المواقف الإقليميّة والدوليّة على نطاق واسع. إنّها حرب أميركيّة في الدرجة الأولى، على رغم مشاركة الحليف التقليديّ (بريطانيا) فيها وبقوّة لافتة لم تظهر بهذا التَحشّد في الشرق الأوسط منذ أيّام حرب السويس. وهي حرب من خارج الشرعيّة الدوليّة باعتراف مجمل المتخصّصين في القانون الدوليّ، عدا ما صرّحت به دول مشاركة في عضويّة مجلس الأمن من حيث أنّ الحرب تفتقد لهذه الشرعيّة. وكان الأمين العام للأمم المتحدة قال قبل أسابيع إنّ أيّ حرب على العراق تحتاج إلى موافقة من مجلس الأمن، وهذا ما لم يحصل. بل على العكس، اتّجهت الغالبيّة من الدول في هذا المجلس إلى جبهة المعارضة للحرب. وكيف إذا أضفنا إلى كلّ ذلك موقف قداسة البابا يوحنّا بولس الثاني، وما يمثّل من ثقل معنويّ عالميّ، الداعي إلى السلام والوقف الفوريّ للحرب؟

فرز المواقف الإقليميّة والدوليّة من هذه الحرب، ونتائجها، آخذ بالظهور، وقد يتضح أكثر في المستقبل القريب. وثمّة أربع عُقد تلعب دوراً رئيسيّاً في هذا الفرز:

١- من يسيطر على الطاقة النفطيّة في العراق والخليج، ويلعب دوراً محوريّاً في النظام الاقتصاديّ العالميّ؟

٢- هل سيعاد النظر بالجغرافيا السياسيّة لدول الشرق الأوسط، بما في ذلك إعادة إحياء المسألة الكرديّة، والاعتبارات الطائفيّة والعرقيّة في العراق ودول المشرق العربيّ؟

٣- ماذا سيكون عليه موقع إسرائيل في أيّ ترتيبات إقليميّة ودوليّة في الشرق الأوسط؟ وما هو مصير الوعد الأميركيّ بتنفيذ «خريطة الطريق» بعيد انتهاء الحرب على العراق؟

٤- كيف سيعاد صوغ العلاقات الدوليّة بدءاً من الخليج والشرق الأوسط، بما في ذلك تحديد مكانة الأمم المتحدة والقوى الدوليّة الكبرى على مستوى بنية النظام الدوليّ؟

ما يزيد من هذا الفرز الدوليّ صمود الداخل العراقيّ، إذ ثمّة جهل في أوساط أميركيّة وربّما غربيّة، بالاجتماع العراقيّ. فعلى رغم التعدّد المذهبيّ الإسلاميّ، والدينيّ الإسلاميّ- المسيحيّ، والقوميّ بين العرب «الأغلبيّة» والأقليّة القوميّة الكرديّة ناهيك عن أقليّة تركمانيّة محدودة، فإنّ الوطنيّة العراقيّة موجودة على رغم جور نظام الحكم. وهذه الوطنيّة متصاعدة في ظلّ الحكم الأجنبيّ، أو الغزو الأجنبيّ. هذا ما اتّضح منذ الثورة الكبرى على البريطانيّين في العام ١٩٢٠، وحتّى حربي الخليج الأولى والثانية. ومن العبث إعادة بحث مدى وطنيّة شيعة العراق، أو إيمانهم الإسلاميّ، أو التزامهم العربيّ. ثمّة حملة أكاذيب متراكمة في هذه المسألة، لم تستطع إلى اليوم حرف هؤلاء المسلمين الشيعة (وهو أغلبيّة الشعب العراقيّ) عن طبيعة واقعهم الاجتماعيّ السياسيّ.

أمّا بخصوص الأكراد، فهم عراقيّون على رغم قوميّتهم الخاصّة الكرديّة، وسيختلفون عاجلاً أم آجلاً مع السياسة الأميركيّة عندما يدركون أنّهم جزء من حملة أميركيّة واسعة تتجاوز في أهدافها حدود العراق والشرق الأوسط، أو هكذا تريد منهم الإدارة الأميركيّة على وجه الدقّة. هذا بالإضافة إلى خلافاتهم البعيدة والعميقة مع الدولة التركيّة على المستويات كافّة. ولا تبدو في الأفق أيّة فرصة سانحة لإقامة دولة كرديّة في شمال العراق تمتدّ لاحقاً إلى شرق الأناضول وشمال غرب إيران (كذا)، خصوصاً إذا ما توقّفنا عند الجوار الإقليميّ.

... بل الآخرون هم الجنّة!

د. عقل كيروز

الكلام بعد عمليّة ١١ أيلول عن التطرّف والتعصّب، وراحت بعض الدول تقرع طبول الحرب، وغيرها يردّ ويبرّر ويفسّر سياسته بطرق مختلفة، واشتدّت المشاعر والاجتهادات السياسيّة والدينيّة الشعبيّة، وإذا بالعديد من المجموعات والأفراد أُلبست ثوب التطرّف وصنّفت هكذا عن حقّ أو غير حقّ؛ وكأنّ العالم الليبراليّ الحرّ الداعي إلى احترام حقوق الإنسان والمساواة والعدالة والسلام يرجع مئة سنة إلى الوراء وينهزم أمام قوى الأمن والعسكر والسلاح، فيتحوّل إلى معركة ضدّ الإرهاب بمفاهيم مختلفة متناقضة وضدّ عدوّ ليس له حدود أو أخلاقيّة أو حضارة.

موضوعنا ليس الإرهاب العالميّ ولا الأصوليّة المتفشّية في بعض الدول والقارّات، إنّما يركّز على لبنان الذي لم يسلم بدوره من صراع التطرّف الطائفيّ، فتعكّر أمنه وزُرعت في قلوب أبنائه مشاعر الخوف والحقد والعصبيّة والثأر وعدم الثقة، ما يجعله يعيش في مرحلة خطيرة جدّاً قد تعيده إلى العنف وتصل به إلى الدمار. لذلك، أصبح واجباً مقدّساً على كلّ لبنانيّ حرّ ومهذّب ومثقّف أن يعمل كلّ ما في وسعه، كفرد أو ضمن مجموعة، لإعادة الصفاء إلى القلوب من خلال حوار منطقيّ وعقلانيّ يرتفع العقل والمنطق فيه فوق المشاعر الرجعيّة البدائيّة، وتسود روح الأديان، لا حروفها، على ضمير أهله فيُمّحى الجهل والظلم، وتسيطر المحبّة ضمن الإخاء والسلام.

إنّ الهدف من هذه الكلمة هو الدعوة إلى الحوار ومناشدة الأكثريّة اللبنانيّة الصامتة، وعلى رأسها نخبة كرّست حياتها في خدمة الإنسانيّة والخير والأخوّة، لتعي هذا الخطر وتعمل على رصّ الصفوف، ليس على طريقة الزيف السياسيّ، إنّما بالفعل والعمل معاً، لإنهاض الشعب اللبنانيّ وهذا الوطن من أمراضه وآلامه.

إنّ النظام اللبنانيّ في واقعه هو نظام طائفيّ بين مسيحيّين ومسلمين، يعتمد مبادئ التعايش الحرّ والديمقراطيّ والمساواة والتعدّديّة الحضاريّة والفكريّة والسياسيّة والأخوّة والاحترام المتبادل بين كلّ أبنائه. ولكنّ الحقيقة، يا للأسف، تتعارض وهذه المبادئ. فهي تغذّي النعرات الطائفيّة التي ما زالت تستعر كالجمر تحت الرماد؛ تهبّ أحياناً وتخمد أخرى، من دون حلول جذريّة تضع لها حدّاً نهائيّاً وتحرّر الوطن والمواطنين من تجاذباتها المؤلمة. والمؤسف في كلّ هذا أنّ إخوتنا المحرّضين والمتطرّفين يزرعون هذه السموم في قلوب كلّ فئات مجتمعنا وطوائفه، صغاراً أو كباراً، تحت شعار الدفاع عن اسم الله تعالى.

لذلك، اخترت أن أتوجّه إلى كلّ أبناء وطني، مسلمين ومسيحيّين من دون تفرقة، علّ كلمتي تقع في أرض خصبة، فتساهم في إحلال السلام والمحبّة.

كلّنا يعرف أنّ النظام اللبنانيّ مؤسّس على عمودين هما: الدين والطوائف من جهة، والمبادئ الاجتماعيّة والسياسيّة العلمانيّة من جهة أخرى. لذلك، لا بدّ أن يُعالَج هذان العمودان معاً.

أوّلاً: المنطلق الدينيّ

هناك مبادئ وتعاليم في الإسلام والمسيحيّة لا يمكن لأحد التلاعب أو الاستئثار بها وحصرها في نطاق مفهومه الفرديّ فقط، ومنها أنّ الله الخالق هو الكمال بالذات في كلّ صفاته لا يتغيّر بين لبنانيّ وآخر، وأنّه الآب الخالق لنا جميعاً ولولاه لما كنّا ولا كان لبنان، لا ينبثق منه إلاّ الخير لأنّه كامل في صفاته وجوهره، أي يستحيل أن يصدر عنه أو عن تعاليمه ووصاياه تناقض أو شرّ. وبالتالي، ولأنّه لا يملك دنيويّاً، لا يملك جيوشاً لتدافع عن حقوقه ولا مالاً ليتاجر به، ولا يطلب من أحد منّا أن يكون محاميه ليحصّل له حقوقه من إنسان أو على حساب إنسان آخر. إنّنا جميعاً متساوون أمام الله، مهما كان جنسنا وحجمنا ولوننا أو ديننا.

ولقد اخترت ثلاث صفات أساسيّة للّه تعالى لأتحدّث عنها.

١- الله هو الأبّوة الكاملة

إنّ الأبّوة تعني أنّه خلق الإنسان بشخص آدم أبينا وحوّاء أمّنا على صورته ومثاله ونفخ فيهما الحياة. وهكذا أصبحنا نحن أولادهما أبناءً له أيضاً. وقد أكدّ ذلك السيّد المسيح

قيمة «فيذهب ضحيّة المطامع البشريّة والحروب المدمّرة والابتعاد عن القيم الإنسانيّة المسيحيّة الأساسيّة من صفح وسماح ومحبّة على ما يجري اليوم في العراق، وعلى ما يزال يجري في فلسطين والأراضي المقدّسة». وفي هذا الكلام امتداد لموقف الفاتيكان الذي أشرنا إليه. بل يمكن ملاحظة موقف مسيحيّ عالميّ رافض للحرب، باستثناء «جيوب» إنجيليّة أو بروتستانتيّة متحالفة مع الصهيونيّة داخل الولايات المتحدة. فالكنائس الكبرى الكاثوليكيّة والبروتستانتيّة والأرثوذكسيّة تعارض الحرب بشدّة. لذلك لا يصحّ التوصيف الذي يعتبر الحرب الأنغلو-أميركيّة أنّها «حرب صليبيّة»، أو «حرب مسيحيّة»، بعد هذا الموقف المسيحيّ العالميّ. ونعتقد بأنّ للكنيسة في لبنان دوراً بارزاً في توجيه الرأي العام مع وجود فرصة نادرة للتفاهم مع المسلمين بصورة أعمق من «عيش مشترك» حيال قضايا كبرى تهمّ المنطقة والعالم.

هذا المعطى الجديد في العلاقات الإسلاميّة-المسيحيّة لا تنال منه حركة فوضى من هنا أو هناك، ولا تُضعفه الانعكاسات السلبيّة للحرب ضدّ العراق على الواقع اللبنانيّ اقتصادياً واجتماعيّاً.

ثمّة انعكاس اقتصاديّ سلبيّ على لبنان؛ فالصادرات اللبنانيّة المتّجهة إلى العراق في السنتين الأخيرتين قد وصلت نسبتها إلى نحو أربعين في المئة من مجمل الصادرات، أي ما يعادل أربعماية مليون دولار أميركيّ من أصل بليون دولار. وقد تتعرّض هذه الصادرات، أو جزء منها، للتوقّف بسبب ظروف الحرب. هذا فضلاً عن مطالبة الإدارة الأميركيّة بصراحة من الحكومة اللبنانيّة بتجميد الأرصدة العراقيّة المودعة في المصارف اللبنانيّة، من دون أن تجد موافقة لبنانيّة. بل هناك مطالبة أميركيّة بطرد الدبلوماسيّين العراقيّين من بيروت، ورفض لبنانيّ مقابل. يجري ذلك بينما تعلن الدبلوماسيّة اللبنانيّة تمسّكها بقرارات مجلس الأمن، وحرصها على التضامن العربيّ في جميع الظروف. هذا ما يعني إمكان استمرار الضغط الدبلوماسيّ، وربّما الماليّ، من جانب الإدارة الأميركيّة على لبنان في هذه المرحلة على الأقلّ.

مهما كانت تداعيات الحرب على العراق، من الخطأ تجاهل النتائج والانعكاسات على لبنان وسائر الدول العربيّة والشرق أوسطيّة. بل ثمّة نتائج متوقّعة عالميّاً كما أشرنا. والحكمة تقتضي عدم الركون لوعد أميركيّ ما بتنفيذ «خارطة الطريق» مع حكومة شارون اليمينيّة الدينيّة المتطرّفة، وعدم مساعدة هذه الحكومة بصورة غير مباشرة على تنفيذ تهديداتها ضدّ لبنان. أمّا تأجيل معالجة مشكلات داخليّة إلى مرحلة ما بعد الحرب، بحجّة ضغوط الحرب وظروفها، فإنّه نوع من الهروب إلى الأمام، وتهرّب من مسؤوليّات أساسيّة تقع على عاتق المسؤولين اللبنانيّين. ومتى كانت منطقة الشرق الأوسط هادئة ومستقرّة؟

والدينيّة والسياسيّة، يَنشد الشعب ويتوق إلى استرجاع حرّيّته الروحيّة أوّلاً، ومن ثمّ حريّته السياسيّة والاجتماعيّة. فالحريّة الروحيّة تفترض أن يمسك الإنسان بزمام كيانه وبقراره المسؤول، فلا تكون هذه الحرّيّة مباعة أو مرتهنة بأيّ شكل من أشكال الخوف والابتزاز.

إنّ الوطن اليوم بحاجة ماسّة لهذه الحرّيّة، لأنّها تنمّي في أبنائه نور التهذيب والعلم الصحيح، بعيداً عن ظلام التعصّب الدينيّ الذمميم الذي غالباً ما يرتع وينمو في خلايا وعظام العديد ممّن يدّعون الاستنارة أو يتستّرون بالتقيّة. لبنان لا يحتاج لكثرة المرشدين المتربّعين على الكراسي، لأنّه كلّما كثر عددهم كلّما تدهورت الأمّة نحو الهلاك. لبنان لا يصبح وطناً راقياً نهائيّاً حرّاً ديمقراطيّاً إلاّ عندما يجتمع المفكّرون المسيحيّون مع إخوانهم المسلمين يتباحثون في كلّ المواضيع الدينيّة والاجتماعيّة والسياسيّة بكلّ تجرّد واحترام ومحبّة رافضين الخوض في مستنقعات الجهل وسموم التطرّف والتعصّب.

عبثاً نحاول أن نكذب بعضنا على بعض وعلى أنفسنا وعلى خالقنا إذا لم نصبح قلباً واحداً في جسم واحد لا نُخضع أنفسنا إلاّ لناموس وصفات الله الواحد فلا نعود نرى في قلب وطننا إلاّ الصدق والخدمة وجمال المحبّة والحرّيّة على مسرح التفاهم والتعاون والوحدة.

وهناك خيارنا الآخر، وهو البقاء على ما نحن عليه عبيداً للشرّ والفساد والشيطان مقيّدين بالخداع والتّغريد في عالم الرماد والظلمة والكفر بنعم الله. ومن هنا تأتي بليّتنا اليائسة، وقوامها التّفريق والتقسيم إلى أحزاب وطوائف وعصبيّات، فنصبح لعبة في أيدي القوى الغربيّة.

إنّه لمن واجب كلّ مواطن أن يفصل العصبيّة للوطن عن العصبيّات الأخرى ويفصل الدين عن الدولة، فنكون كلّنا لبنانيّين قبل كلّ شيء نعبد الله ونأخذه مثالنا الحقيقيّ بحبّه وكرمه وعدله وحكمته.

إنّ ما نعيشه اليوم في لبنان يذكّرنا بكلام المؤرّخ والمفكّر الناقد أمين الريحاني، إذ كتب سنة ١٩٢٥ يندّدُ بالطائفيّة العمياء المتعصّبة، لبنانيّاً وإقليميّاً، بهذه الكلمات:

"... إنّنا عدنا خمسين سنة إلى الوراء.

إنّي أرى في البلاد من فساد الأخلاق ما لم يسبق له مثيل حتّى في العهد العثمانيّ.

إنّي أرى في البلاد من العسر والشدّة، وأسمع في البلاد من التأوّه والأنين ما يستحيل دوامه ودوام الحياة في أمّة من الأمم.

إنّي أرى في البلاد أحزاباً وطوائف لا تختلف في غير الاسم وأساليب العمل في سبيل المصلحة الخاصّة، ولعيون الأجانب.

إنّي أرى في البلاد أعناقاً تُمدّ، ونيراً يُشدّ، وويلات في المستقبل لا تُحدّ..." (الريحاني- القوميّات ص ١٧٩).

فإذا لم يخرج الماروني والشيعي والدرزي والسني وغيرهم من التطرّف والتعصّب الطائفيّ ويصيرون لا طائفيين في السياسة، فكراً وقولاً وعملاً، فلن يكون لنا وطن حقّاً.

أمّا إذا كان لا بدّ من التحزّب والتطرّف، فليكن لأجل مصلحة الوطن الواحد ولكلّ ما يحقّق آمال اللبنانيّين الوطنيّة في جمع الكلمة وتوحيد الصفوف من خلال الإخاء والمساواة والمحبّة. فلنرتفع فوق الطائفيّة والأسرة والعشيرة، بعيداً عن التقاليد والخرافات البالية وقيود المصالح الخاصّة الجشعة.

فالركن الأوّل للوطنيّة الحقيقيّة هو المصلحة المشتركة المرتكزة على العدل والإنصاف والمساواة في الحقوق والواجبات بين أبناء الوطن، أقليّات كانوا أم أكثريّة: "ولتجدنّ أقربهم مودّة للّذين آمنوا قالوا إنّا نصارى".

في ظلّ هذه الديمقراطيّة التي يحكم بها اللبنانيّون يتوجّب على الحكّام القياديّين أن يعرفوا بدون أيّ التباس أنّهم خدّام الشعب والأمّة، وأنّهم تحت رعاية القانون والدستور بالتّساوي مع أصغر مواطن، وليس العكس.

عليهم أن يعملوا على إزالة ما زُرع في نفوس المواطنين من الخوف وسوء الظنّ والبغضاء، وأن يعملوا لهدم كلّ الحواجز التي تحول دون الحوار والتفاهم بكلّ صدق ومصداقيّة؛ فالأمّة المبنيّة على التساهل والمحبّة هي مفتاح لكلّ الخيرات الوطنيّة والفرديّة.

إنّ بليّة لبنان تأتي في معظمها من أولئك الذين، باسم الله والشعب والديمقراطيّة والوطن والعدالة، تربّعوا على الكراسي يسرقون الشعب ويسخّرونه لأغراضهم الشخصيّة. هم لا يتقدّمون، ولا يفسحون لغيرهم في أن يتقدّموا.

إلى هؤلاء الأخوة يقول الشعب: سامحكم الله. ولكن رحمةً بالساعة التي ستقفون فيها أمام عدله، ورحمة بهذا الوطن وبعذاب أبنائه، عودوا إلى بيوتكم واتركونا نعيش ولو بالقليل من الكرامة والسلام، ما يعطينا الفرصة، نحن الشعب، أن ندخل معبد الوطن ونرفع أيادينا نحو الربّ الخالق- ربّ المظلومين والمنسيّين والمستعبدين الجائعين فنلجأ إليه ونختبئ في ظلّ جوانح المحبّة والإخاء.

وإذا قال جان بول سارتر إنّ "جهنّم هي الآخرون"، فنحن نقول "الآخرون هم المفتاح والطريق لدخول الجنّة".

بقوله: "لا تسقط شعرة من رؤوسكم إلاّ بأذن أبيكم". ثمّ علّمنا الصلاة الواحدة والأهمّ والتي ندعو فيها الله "أبانا الذي في السماوات". فهو لم يعلّمنا أن ندعوه جلالة الملك أو فخامة الرئيس أو معالي الوزير الخ، إنّما "أبانا" مع ما تشتمل عليه هذه العبارة من حبّ وثقة ودلالة. وهذا يعني أيضاً أنّنا كلّنا متساوون أمامه، وكلّ واحد منّا له مكان خاصّ في قلبه المحبّ الحنون. فهل من الممكن أن يريد أو يضمر الآب الشرّ لأولاده؟ إذا كان الأب البشريّ يحبّ أولاده بالتّساوي، ويعمل لمصالحهم بالتّساوي، يضحّي من أجلهم ويغمرهم بحبّه ولا يدعهم يختلفون بل يتعاونون ضمن عائلة واحدة، فهل من الممكن أنّ صاحب الأبّوة الكاملة يطلب من أبنائه الاقتتال أو يشجّعهم عليه وعلى ممارسة البغض والحقد بينما هو يتفرّج؟

فعندما نرتكب الشرّ، نكون ليس فقط نخالف وصايا الآب الخالق، إنّما نعمل ضدّها، نرفض إطاعته واحترامه ونخون حبّه فنتجنّد للشيطان. هل نؤمن، نحن اللبنانيّين، أنّنا فعلاً أبناء عائلة واحدة، عائلة الآب الخالق الكامل؟ وهل نحبّه حقيقة بأعمالنا ونفهم إرادته ونعمل على تكريمه؟ هل نريد أن نتّحد به يوم الدينونة، أم أن نُنبَذ من أمام وجهه؟ وكيف يكون هذا إذا كان البغض والشرّ يحتلاّن قلوبنا ونفوسنا؟ متى سنستفيق من غفلتنا وجهلنا لنصبح أبناء الله؟!

٢- الله الرحمن الرحيم

نعود إلى الصلاة الربّانيّة، فنقول: "اغفر لنا خطايانا كما نحن نغفر لمن أخطأ إلينا". فإنّي، كإنسان ومواطن، إنْ لم أغفر لأخي وأسامحه وأطلب له الخير حتّى لو بادرني هو بالشرّ، فكيف أنتظر من الله أن يغفر لي خطاياي؟ إنّ الآب المحبّة لا يمكن أن يرضى بشريعة "العين بالعين والسّن بالسّن". نحن نطلب منه المغفرة لأنّنا نسامح ونقبل أخانا الآخر بكلّ هفواته وضعفه. إنّنا لا نصلّي ونقول: "إنّني أغفر لأخي عندما يغفر لي، وإلاّ سأحطّمه". الله الرحمن يعني أنّه كامل الرحمة والمغفرة من دون انتقاص. فهل من الممكن أن يكون في المقابل ظالماً وفاسقاً، يأكل أموال الضعفاء ويدوس حقوق الأقليّات؟ المغفرة الحقيقيّة مبنيّة على الكرم والحوار البنّاء العقلانيّ الأخويّ، وعلى وحدة القلوب ورصّ الصفوف. هل من الممكن أن يكون الله مصدر تطرّف أو عصبيّة أو عنصريّة أو أصوليّة أو فساد؟

"فاعفوا واصفحوا حتّى يأتي الله بأمره. إنّ الله على كلّ شيء قدير" (٢-١٠٩) أو "قل للّذين آمنوا ليغفروا للّذين لا يرجون أيّام الله ليجزي" (١٤،٤٥) أو "فمن عفا وأصلح فأجره على الله. إنّه لا يحبّ الظالمين" (٤٢، ٤٠).

٣- الله محبّة

إذا آمنّا أنّ الله هو المحبّة الكاملة اللامتناهية التي لا يمكن أن نَزيد عليها أو نُنقص منها، فكيف إذاً تبقى كاملةً إذا كانت مبنيّة على الخوف والتعصّب والغيرة الحقود! إنّ السيّد المسيح أوصى تلاميذه وصيّة أخيرة كلّل بها سائر وصاياه وهي: "أحبّوا بعضكم بعضاً كما أنا أحببتكم وبذلتُ ذاتي عنكم". وهل من حبّ أسمى وأكبر من أن يضحّي الإنسان بحياته ويحمل خطايا أخيه الإنسان ومشاكله؟ هل يطلب الله منّا قصوراً وماالاً أم سيوفاً وجنوداً؟ لقد طلب شيئاً واحداً، وهو أن نحبّ بعضنا بعضاً. وفي آخر كلماته على الصليب، هل طلب المسيح من أبيه الانتقام والثأر له من جلاّديه؟ هل انهال عليهم بالشتائم والتهديدات؟ كلاّ. بكلّ بساطة قال: "اغفر لهم يا أبتاه" ثمّ أسلم الروح. إنّه المسيح يطلب وحدة القلوب والشعوب بقوله: "كونوا واحداً كما أنا والآب واحد". فهو لم يطلب التقسيم، ولم يطلب إلغاء الآخرين لأنّهم يختلفون عنّا.

"خذ العفو وآمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين" (٧، ١٩٩). المحبّة لا تفرّق ولا تتباهى ولا تكابر. لا تسرق ولا تكذب ولا تقتل ولا تحكم بالباطل. المحبّة هي دفء يحضن كلّ الخلائق ويحملها إلى نور الله ومجده .

لماذا نحن اللبنانيّين، مسيحيّين ومسلمين، لم نتعلّم بعد أن نحبّ بعضنا بعضاً، إنّما نتقاتل باسم طوائفنا وباسم الله؟ أي إله هو هذا؟ إنّ كلّ ما هو نقيض المحبّة والأخوّة والتسامح إنّما هو من صنع الشيطان، وليس من صنع الأنبياء والديانات. فمتى سنبدأ نفهم هذا ونعيش بروحيّة أديانا وليس بحروفها؟ متى سنكون فعلاً رسالة العيش المشترك الموحّد أحراراً ومسؤولين أمام الآب الخالق؟

ثانياً: المنطلق السياسيّ والاجتماعيّ اللبنانيّ

إنّ البلاء في هذا الوطن له أسبابه الكثيرة التي تصبّ في خانات السياسة والقيادة المدنيّة والروحيّة ورجال السلطة والحكم.

إنّ واقع الشعب اللبنانيّ، للأسف، يخضع لأربعة أنواع من السلطة، تؤثّر كلّها على كيانه ووجوده وتعامله مع المسائل الوطنيّة، وهي:

السلطة "المنتخبة" الحاكمة حسب الدستور، سلطة رجالات الدين الذين غالباً ما يتمسّك بعضهم بالحرف دون الروح، سلطة الميليشيات والأحزاب والبؤر الأمنيّة، وأخيراً سلطة الوصايات الخارجيّة.

وبالتالي يعيش الوطن في دوّامة الترقيع والتجبير بدل الإصلاح الأساسيّ الجذريّ، حتّى أنّه أصبح من خير الشعب أن يبقى أميّاً بدل أن يُطعَم ويُطَعَّم بالجاهليّة. في ظلّ هذه القيود العائليّة والاجتماعيّة

وكان هذا العيد يسمّى العيد الصغير، نسبة لعيد الأضحى (العيد الكبير). فعيد الأضحى أيضاً كان في حياة البلدة مناسبة احتفاليّة كبيرة للأهلين وللأطفال، وكان الكثير من العائلات القادرة متمسّكين بعادة ذبح الأضاحي (الخرفان)، توزّع لحومها على المحتاجين...! وبعده كانت تعمّ معظم أحياء البلدة مظاهر الاحتفاء بعودة الحجّاج...!

أمّا أكثر الأيّام تأثيراً وجدانيّاً وروحانيّاً في حياة البلدة فهي أيّام **عاشوراء** الحزينة. فالأيّام العشرة من بداية شهر محرّم، لم تكن تقتصر على مظاهر الحزن التي تعمّها، بل يمكن اعتبارها أيّام بكاء ونحيب يشارك فيها الجميع... ففي كلّ ليلة من بداية هذا الشهر وحتّى العاشر منه كان يقام، في حسينيّة النبطيّة، مجلس عزاء يزدحم بالحضور، يستمع أفراده للمقرئ الشيخ محمّد قديح، صاحب الصوت المؤثّر، يروي، بصوت متهدّج حزين يكاد يغصّ بالدمع، وقائع حادث استشهاد الحسين وصحبه من آل بيت الرسول في كربلاء وما أصاب نساءهم وأطفالهم من كرب وبلاء، فيتابعه الجمع بالبكاء وذرف الدموع الغزيرة، بينما نحن الأطفال الصغار نتجمّع خلف الحسينيّة، نتفرّج على هذا المشهد الحزين من خلال النوافذ...!

الحكم العثمانيّ في لبنان كان معادياً للطائفة الشيعيّة عموماً. لذلك، لم يكن يسمح للشيعة بإقامة شعائرهم، وخاصّة في ذكرى عاشوراء. بل إنّ بناء الحسينيّات لم يكن مسموحاً كذلك...!

وفي أواخر القرن الثامن عشر تجمّع في فلسطين العديد من المنفيّين الإيرانيّين؛ فكانوا يكثرون من التردّد على البلدة الشيعيّة: النبطيّة، وبعضهم أقام فيها. ومن خلال احتكاكهم بأهليها، بثّوا بينهم التقاليد والعادات الشيعيّة التي يمارسها الإيرانيّون، ومن ضمنها الاحتفالات الإيرانيّة بالذكرى السنويّة لعاشوراء.

في أوّل الأمر، وخوفاً من البطش العثمانيّ، بقي أهالي النبطيّة وجوارها يقيمون شعائر متواضعة بذكرى عاشوراء تجري بصورة أقرب إلى السرّيّة عبر إقامة مجالس عزاء في البيوت فقط.. ومع مرور السنين ازداد انتشار هذه الشعائر وكبر حجمها، لكنّها لم تأخذ شكلاً احتفاليّاً عامّاً إلاّ عام ١٩٢٠، عندما قدم إلى النبطيّة **الشيخ عبد الحسين صادق** ليتولّى فيها الإمامة والشؤون الدينيّة، وأقلّ ما فعله هو بناء حسينيّة، هي الأولى، ليس في النبطيّة وحدها، بل في لبنان كلّه، لأنّ السلطات العثمانيّة كانت تمنع بناء الحسينيّات على ما أشرنا.

بعدها، باشر بتنظيم التوسّع في شعائر عاشوراء. إنّما بقيت هذه الشعائر، مدّةً، تأخذ شكل موكب ندّابين يتوجّه عصر يوم التاسع من محرّم إلى النبطيّة الفوقا ثمّ يعود بالإطار الاحتفاليّ نفسه يرافقه موكب مماثل من الشقيقة المجاورة النبطيّة التحتا، وفي العاشر منه يقام مجلس عزاء عامّ في حسينيّة النبطيّة...!

في إيران وفي النجف الأشرف بالعراق، كانت تتخلّل احتفالات ذكرى عاشوراء تمثيليّة لحدث استشهاد الحسين بن علي وصحبه...! وسرعان ما انتقل هذا التقليد إلى الاحتفالات المتزامنة في النبطيّة...!

في أوّل الأمر جرى تمثيل الحدث بشكل صامت، ثمّ تطوّر ذلك مع بداية العامّ ١٩٢٥ إلى حالة تلقين الممثّلين كلاماً شفهيّاً يروي تفاصيل ما رافق قيام الجيش الأمويّ بقتل الحسين وصحبه في المشهد التاريخيّ الدراميّ المعروف. تمّ هذا التطوّر مع إيكال دور الحسين إلى **عبدالله كحيل**!

فعبدالله كان شاعراً معروفاً وموهوباً، اشتُهر بشتّى ألوان الشعر، خاصّةً الشعر الساخر. وكانت له قصائد معروفة تتداولها مجالس البلدة، يسخر فيها من كبار الساسة الاقطاعيّين في الجنوب، فُقد معظمها الآن؛ كما كان له وجود بارز في حياة البلدة... ما أعطى التمثيليّة الحسينيّة نكهة خاصّة. واستمرّ عبدالله كحيل في تمثيل دور الحسين وفي الاشراف على كلّ شاردة وواردة في التمثيليّة حتّى وفاته في العام ١٩٥١. غير أنّ كلمات التمثيليّة لم تصبح مكتوبة إلاّ في خلال تولّي إمامة النبطيّة الشيخ محمّد التقيّ الصادق، خلفاً لوالده **الشيخ عبد الحسين صادق** (توفّي عام ١٩٤٢). وضع هذه الكلمات وكتبها الشيخ محمّد التقيّ نفسه. وكان يتولّى تحفيظها مباشرةً للممثّلين، ولا زال هذا النصّ هو المستعمل إلى الآن.

بعد رحيل عبدالله كحيل، تولّى نجله البكر **فؤاد كحيل** القيام بدور الحسين لسنين طويلة. فؤاد كحيل كان معلّماً ابتدائيّاً في المدارس الرسميّة. وفي الستيّنات استقال، وانتقل إلى العمل في الصحافة محرّراً ومندوباً في جريدة "النداء" الناطقة بلسان الحزب الشيوعيّ، لكنّه رحل في سن مبكّرة. ويتولّى دور الحسين ، إلى الآن، شقيقه **الحاج حسن كحيل**!

مع الزمن تعاظم شأن ذكرى عاشوراء في حياة النبطيّة والجنوب اللبنانيّ، وربّما لبنان كلّه، وأصبحت ساحة بيدر النبطيّة الفسيحة تشهد، سنويّاً يومَ تمثيلِ الذكرى، حضوراً جماهيريّاً يصل تعداده إلى عشرات الألوف، يفدون من مختلف المناطق!

ويرافق المشهد التمثيليّ في العادة مسيرات الندّابين الذين تضخّم عددهم مع مرور الزمن. ومع الوقت أيضاً انتشرت بين بعضهم عادة ضرب أجسامهم العارية بسلاسل حديديّة في عمليّة تعذيب للذّات

يجب

... لنسألْ أنفسَنا، وبعضُنا بعضاً: ما قيمةُ هذا الوطن؟ ما أهميّتُه؟ ما خاصّتُه؟ وما رسالته الحقيقيّة؟

إنّه جبلٌ، بين ساحلٍ وسهل. في كوكبنا جبالٌ وسواحلُ وسهولٌ، لا نشكّل منها قُلاماتٍ. لكنّنا، هنا، ثمانيَ عشْرةَ طائفةً تَعايَشُ، تؤلّفُ وحدةً، يجمعُها تراثٌ وتقاليدُ، تمثّلُ نموذجاً فريداً، رائداً لدنيواتٍ وشعوبٍ.

لبنانُ الكنزُ الأغلى، كفانا تفريطاً به وجحوداً له، نتبرّأ منه ونستغلّه، وهو لا يَنْفَذُ، لا يُجْدِبُ ولا يَنْضَب.

يجبُ أن ندركَ معناه، ومحتواه، ومغزاه، ونكفَّ عن التشاطرِ في توظيفِه لربحٍ فئويّ، أو كسبٍ شخصيّ، ونفهم أخيراً أنّه واحةٌ أزليّةٌ، عصيّةٌ على التصحرّ!

العالم كلّه، يحتاجُ إلى المثالِ اللبنانيّ، لكي يتوقّفَ عن تدميره الذاتي، ونحن، فيما السُمُّ يَسري في عروقِنا، نَكسرُ القُمقَم، ونُهرِقُ الترياق!

إذا كان قَدَرُ الأديانِ أن تتذابح، أن تلتمس جنّاتِها بالقتل والاغتيال، بالاحتلالِ والاستكبارِ والاستعمار... ودورُ الشعوبِ أن تطبّقَ شرعةَ الغزوِ والسّبيِ ومُلْكِ الرّقاب، وأن تراهنَ على إلغاءِ الآخرِ لضمانِ البقاءِ المنفرد، فذلك نقضٌ لكلِّ تعاليمِ السّماء، كفرٌ بجميعِ الرّسالات، من الوصايا إلى البشارة إلى التنزيل، حتّى جوهرِ المناقبِ المستَمَدّة من تجاربِ الأممِ والخلائق، على امتدادِ السنين!

لنوقفْ جميعاً، من الداخل والخارج، تهديمَ النموذج اللبنانيّ، وَلْنعملْ على صقلِه، وتخليصِه ممّا علقَ به من أدرانِ الممارسة، وشوَّهَهُ من سوءِ المعاملة!

بدلاً من أن نظلَّ نُنْحي باللائمة، بعضُنا على بعض، ويتبرَّمَ الأخُ بأخيه، حتّى إذا ما نادى أحدنا "بلبنان أوّلاً" اتُّهِمَ بالانعزال، وسيقتْ بحقّه أراجيفُ التّخوينِ والعَمالة... كأنّما لم نسمعْ بـ "مصر أوّلاً" ولا "بالأردن أوّلاً"، ولا بسوريا، أو غيرها من الدول، أوّلاً وآخراً!

لِنَعِ، مرّةً واحدةً ونهائيّة، أنّ لبنان يستطيعُ أن يكون من آياتِ هذا الكون، بطبيعتِه وتكوينِه الديموغرافيّ، فيشكّلَ قدوةً لسواه، بدلاً من أن يبقى دينونةً لأهله!

يجبُ إنجاحُ التجربةِ اللبنانيّة، بأيِّ ثمنٍ، من أجلِ اللبنانيّين مجتمعين، ومن أجلِ العالمِ الباحثِ عن حلٍّ لصراعِ حضاراتِه المميت!...

قَطْفٌ من: إدمون رزق ٢٠٠٣

التقاليد الدينيّة في مجتمع النبطيّة

متى وكيف نشأت ونمت احتفالات عاشوراء وأُقيمت الحسينيّات

سمير شاهين
كاتب صحافيّ

ما أذكره أنّ شهر رمضان كانت له هيبة دينيّة ومكانة احتفاليّة وتأثير في حياة البلدة أكثر ممّا له الآن.

كانت طلقات مدفع رمضان هي التي تحدّد مواعيد الصيام والإفطار والسحور، وكان للمسحّراتي دوره الرمضانيّ البارز؛ وأذكر، ونحن صغار، أنّنا كنّا نسهر معه، ونجول برفقته في جميع أحياء البلدة، إلى موعد الإمساك. كان الكلّ كباراً وصغاراً يصومون، والسهرات الرمضانيّة تنتشر في جميع البيوت؛ فتميّز هذا الشهر عن سائر شهور السنة الرتيبة في حياة البلدة! كما أتذكّر أيضاً كيف كان الكثير من أهالي البلدة يتوجّهون جماعات إلى أماكن معيّنة جنوب البلدة لرصد هلال بداية رمضان أو نهايته لإعلان موعد عيد الفطر...!

كان هذا العيد مناسبة فرح كبيرة للأهلين، وخاصّة للأطفال، الذين كانوا يستعدّون له بملابس العيد الجديدة وفي انتظار العيديّات الماليّة من الأهل والأقارب...!

في عبقريّة اللغة اللاتينيّة*

اللغة اللاتينيّة: واقعها وخصائصها

أنطوان ي. صفير
أستاذ اللغات والترجمة
في جامعة سيّدة اللويزة

تنتمي اللغة اللاتينيّة إلى حضارة لها مكانتُها في التاريخ البشريّ.

فهي من هنا حاضنةُ كلّ اللغات في أوروبّا وملهمتُها. وهي بنوع أخصّ، الأمّ والمُرضِعة لما يُعرَف بمجموعة اللغات الرومانيّة (Langues Romanes)– الإيطاليّة– الإسبانيّة– البرتغاليّة– الفرنسيّة– الرومانيّة، وينبغي دراستها لذاتها وفي خصائصها المميَّزة. وبهذه الصفة شكلّت اللغة اللاتينيّة موضوع دراسات عديدة تتحدَّد باستمرار بقدر ما يكتشف علم الألفاظيّة (La Linguistique) طرائقَ وأهدافاً جديدة.

هذه اللغة اللاتينيّة بَطُلت أن تُعَدّ من اللغات الحيّة المحكيّة عندما سقط المجتمع الذي كان يتعاطاها. استنفدتها المسيحيّة وعفا عليها البرابرة وأمستْ ضحيّةَ وهن الخيال السياسيّ.

وبالرّغم من كلّ هذا، فإنّ نشوء اللغات الحديثة وقيامها لم يلغِ اللغة اللاتينيّة، ولم يُطبق الحجر على قبرها... ففي مختلف بلدان أوروبّا تكوّنت اللغات كلّها عبر عمليّة صراع ومقارنة مع اللغة اللاتينيّة، تمخَّضَ عنها في هذه اللغات طوفان من الألفاظ والكلمات المأخوذة عن اللاتينيّة، وهي حتّى نسخ ألفاظيّ عنها، في محاولةٍ لتركيز بُنى لغويّة (Structures Linguistiques) لم تكن سهلة المنال والاستيلاد لولا النموذج المثال الذي قدّمته اللغة اللاتينيّة الأصليّة المتميِّزة بعنصر الإيجاز الإيحائيّ وشطحات المطوَّلات الخطابيّة المذهلة.

من الجهالة بمكان أن نعتقد بأنّ معرفة اللغة اللاتينيّة لم تعد تؤدّي دورها الأساسيّ في توازن اللغات الأوروبيّة... فتعلُّم اللغة اللاتينيّة، على الأقلّ، يساهم، خاصّةً بالنسبة إلى اللغتين الفرنسيّة والإنكليزيّة، في إبقاء بعض الآفاق المجهولة حتّى اليوم مفتوحةً أمام المفكّرين والشعراء؛ وبفضلها يمكنهم الانطلاق إلى تقدُّم جديد وفتوحات جديدة.

الفصل الأوّل: موقع اللاتينيّة

أولى الكتابات ذات الأهميّة (مسرحيّات بلوت (Plaute) الفكاهيّة، تعود فقط إلى القرن الثالث قبل الميلاد). لم يبقَ من العصور السابقة سوى كتابات جِدّ نادرة وقصيرة، مشوَّهة، صعبة الترجمة والتفسير، وصعب تحديد تاريخها عند شعوب إيطاليا الوسطى الذين عرفوا الأبجديّة منذ الجيل السابع قبل الميلاد. وبالرّغم من ذلك نرى أولى النصوص غنيّة وعلى وفرةٍ في المفردات ومرونة لغويّة، لم تجد الأجيال اللاحقة ضرورة إلى مزيدٍ من الصنعة والصقل والتهذيب فيها.

من المُلاحَظ بأنّ لغة بلوت (plaute)، وريثِ تاريخٍ بكامله، تبلورت عن طريق الاستعمال والتعاطي اليوميّ في مجتمع مشغول ومصقول منذ القِدَم؛ الطبقات الحاكمة فيه شديدة الانفتاح على شتّى تيّارات الحضارة المُعاصِرة آنذاك (حضارة الفينيقيّين واليونان والإتروسك (Etrusques)).

* سبق لـ NDU Spirit أن نشرت القسم الأوّل من هذه الدراسة تحت عنوان: اللاتينيّة... لماذا؟ –العدد ٢٥، تمّوز ٢٠٠٢.

تعبيراً عن الألم الشديد للعذابات التي عاناها الإمام الحسين وآله وصحبه!

مع نهايات القرن الثامن عشر، قدم إلى النبطيّة أحد المنفيّين الإيرانيّين في فلسطين وأقام فيها وتزوّج من إحدى عائلاتها آل فخرين، وهو **الميرزا ابراهيم** والد الدكتور بهجت ميرزا أحد أطبّاء النبطيّة البارزين قديماً وجَدّ الطبيب حاليّاً الدكتور حلمي ميرزا.

الميرزا ابراهيم كانت له بصمات مثيرة وجدليّة على احتفالات عاشوراء. فهو الذي نقل إلى هذه الاحتفالات تقليد ضرب الرؤوس وإسالة الدماء غزيرة منها، وكان متبعاً في العراق وإيران، وأُلغي في كليهما الآن...!

أذكر الميرزا ابراهيم. فقد عمّر حتّى العام ١٩٥٣. كان يزور والدي بين الحين والآخر، وكنت أشاهده، وأنا طفل، يتولّى بنفسه في اليوم التاسع تشطيب رؤوس الضَرِّيبة بواسطة الموسى العاديّة! كان الضّريبة خلال موكب اليوم العاشر، يضربون أماكن التشطيب إمّا باليد وإمّا بالخناجر أو حتّى بالسيوف، فتنبجس منها الدماء بغزارة ما يؤدّي أحياناً إلى غياب بعضهم عن الوعي!

هذه العادة لا تزال موجودة في النبطيّة وحدها بين سائر أماكن التواجد الشيعيّ في لبنان والعالم! وهي أثارت في الماضي جدلاً، فأفتى بمنعها المجتهد الكبير **السيّد محسن أمين**، فتصدّى له عدد من علماء العراق. وحاليّاً، أفتى بمنعها **السيّد حسين فضل الله**، ومنعها **حزب الله** بين أفراده وأنصاره ، ولكنّ ذلك كلّه لم يحل حتّى دون تضخّمها في النبطيّة...!

عام ١٩٧٣ التقيت صدفةً بالمخرج المسرحيّ المعروف **جلال خوري**، وكان ينصب آلة تصوير سينمائيّ وآلة تسجيل دقيقة على مقربة من البيدر في النبطيّة حيث كانت تجري تمثيليّة استشهاد الإمام الحسين، فروى لي أنّه مكلّف من منظّمة الأونيسكو بتسجيل صوت **مقرئة العزاء حسيبة**، بعد أن شاعت، لبنانيّاً وعالميّاً، الأخبار عن مدى جمال صوتها وعمقه وتأثيره في نفوس الناس...؟!

في تلك الآونة كانت حسيبة ترافق الاحتفالات بقراءة مجالس العزاء الحسينيّة، فتضفي عليها أجواء حزينة دراماتيكيّة تجسّد المهابة التاريخيّة لذلك الجرح الذي لا زال نازفاً في جسم الإسلام والمسلمين عامّة!

حسيبة الهاشم هي في الأصل من قرية المَيريّة المجاورة للنبطيّة. كانت ظاهرة بارزة في حياة مجتمع النبطيّة وجوارها، وتأثيرها في هذا المجتمع متعدّد الوجوه؛ فعدا الأثر الذي كان يحدثه صوتها الوجدانيّ الحزين في احتفالات العاشر من محرّم، فقدكان يُبكي عائلات النبطيّة طوال أيّام عاشوراء العشرة. لقد كانت حسيبة تمرّ يوميّاً بمعظم بيوت النبطيّة لتقرأ فيها مجالس عزاء قصيرة يعتبرها الأهالي بركة لهم. بل كانت، عندما انتقل الكثير من عائلات النبطيّة خلال سنوات حرب لبنان إلى بيروت، تتردّد على هذه العائلات في مهجرها البيروتيّ لتتابع التقليد نفسه...! وكانت حسيبة أيضاً القاسم المشترك في جميع مناسبات وداع أهالي النبطيّة لأحبّائهم وأنسبائهم المتوفّين. كانت تحفظ الكثير من شعر الرثاء العربيّ القديم والحديث، وبعض هذا الشعر من عنديّاتها، فتردّده خلال تجمّعات النسوة المتّشحات بالسواد أثناء مراسم وداع أحبّتهم، فيردّدنه معها ناحبات باكيات!

عام ١٩٧٥ اختار **برهان علويّة**، المخرج السينمائيّ الشهير، وابن قرية أرنون الشيعيّة المجاورة للنبطيّة، حسيبة لتظهر في غناء حزين في فيلمه كفرقاسم الذي يستعيد المذبحة التي ارتكبها الأسرائيليّون في هذه القرية الفلسطينيّة الشهيرة؛ فساهم هذا الظهور في اطلاع العالم العربيّ على ذلك الصوت الرخيم. كما عرفه العالم الغربيّ أيضاً بعد انتشار هذا الفيلم عالميّاً...

وساهمت هذه الشهرة لصوت حسيبة، خارج النبطيّة، في دعوتها عام ١٩٧٧ إلى باريس حيث شاركت في مهرجان للغناء الشرقيّ التقليديّ أُقيم في مسرح Le bouffe du Nord حيث قدّمت، إضافة إلى غنائها التقليديّ الحزين، وصلات من الميجانا والعتابا نالت استحساناً كبيراً من جمهور المسرح...!

لم تكن التقاليد تسمح لحسيبة بدخول عالم الغناء والطرب، وإلاّ لكانت أصبحت، كما قدّر الكثير من خبراء جماليّة الأصوات، في عداد كبار المطربات العربيّات...

لقد رحلت حسيبة خلال الثمانينات. لكنّ صوتها الأخّاذ لا زال يرنّ، من خلال التسجيلات، في النبطيّة في كلّ ذكرى سنويّة لعاشوراء...!

أمّا على الصعيد المسيحيّ، فثمّة في النبطيّة قلّة، وهي كاثوليكيّة، مندمجة في المجتمع الشيعيّ الواسع، يتشاركان المناسبات الدينيّة؛ وقد حدث أن أُقيم في حسينيّة النبطيّة احتفالات تأبينيّة لعدد من الوجوه المسيحيّة، بينهم: المربّي الكبير أنطون صايغ، الذي شارك في تأبينه الإمام الصدر؛ والمربّي الآخر سميح شاهين.

ومن المعالم المسيحيّة في النبطيّة الكنيسة والدير ومدرسة للراهبات الأنطونيّات...

الحرّيّة في ترتيب أجزائها من أسماءٍ وصفات ونعوت ومفعولات وعائد صلة الموصول (antécédent et relatif).

هذه الليونة والحركيّة المتحرِّرة لمواقع الكلمات داخل الجملة تغدو ممكنة بفضل آليّة وسِمة الطواعيّة والليونة (système de flexion) في الأسماء، حيث كلّ اسم أو ضمير أو نعت يظهر بشكل مختلف حسب وظيفته النحويّة أو محلّه من الإعراب.

بفضل هذه الطواعيّة ترتدي العبارة ليونةً ومرونةً فُضلى يستفيد منها في الوقت نفسه المتحدِّثون في اللغة المحلّيّة، كما الكتّاب والمؤلّفون. زمن فوائد هذه الطواعيّة أيضاً نُسهِّل، ومن دون غموضٍ أو ثقلٍ في الجملة، انتظام عددٍ كبير من الجمل الفعليّة التابعة (propositions dependants subordonnées)، في إطار وسياق جملة رئيسيّة (proposition principale) واحدة، تنتظم عناصرها، المنفصلة والمتباعدة، من دون تعنيف في التركيب والصياغة؛ كلّ ذلك بهدف إعطاء أكبر مساحة من الوضوح والتماسك في البنيان الإنشائيّ، موضوع الكتابة.

إلاّ أنّ ثمّة، في مقابل هذه الحسنات، بعض السيِّئات؛ ومنها، على سبيل المثال، تعقيد في الأشكال (complications des formes): لكلّ اسم موصوف ستُّ حالات أو مَحَالُّ من الإعراب. فبحُكْم هذه الحالات الستّ تختلف وتتغيّر المتمِّمات أو الأواخر (désinences) المُزادة على هذا الاسم حسب محلِّه من الإعراب وباختلاف صيغة التصريف التي يخضع لها هذا الاسم أو ذاك. ثمّ إنّ في اللاتينيّة خمس صيَغ تصريف أو تحويل للاسم (خمس حالات إعرابيّة) أو بالأصحّ خمس صيَغ مُضاعَفة (٥×٢)، حيث أنّ لكلّ صيغة حالتَين: واحدة للمفرد والثانية للجمع.

هذه التعقيدات كانت أخذت طريقها إلى التبسيط، ولكنّ امتداد الرقعة الجغرافيّة، واتّساع آفاق الكتابة والتأليف في اللاتينيّة حَدّا من التطوُّر الإيجابيّ في هذا الاتّجاه المؤاتي.

وسقطت اللغة اللاتينيّة بسقوط الإمبراطوريّة الرومانيّة، وانتهى دورها المظهريّ قبل أن ترتدي حلّتها الجديدة الخفيفة.

نلاحظ أنّ هناك مساوئ أخرى أكثر فداحة اعترت آليّة نظام اللغة اللاتينيّة: لِنضعْ جانباً حالات الفاعل (nominatif)، والمُنادى (vocatif)، والمضاف إليه (déterminant du nom- génitif)، وهي حالات متخصِّصة فعلاً، ولْنأخذْ حالتَي المفعول به (COD - accusatif) والمفعول لأجله أو حتّى المفعول معه (datif - ablatif)، فنلاحظ أنّ هذه الحالات ظلّت قيد الاستعمال متداخلة ومتقاطعة بحيث أنّ وظائفها الإعرابيّة (المحلّ من الإعراب) (fontion grammaticale) لا يمكن ضبطها وتحديدها بشكل دقيق.

وعلى وجه التخصيص تبقى نقاط الربط الناشئة عن هاتين الحالتين إجمالاً مبهَمة وغير واضحة المعالم. ففي أكثر الأحيان تؤدّي كلمة ما في الجملة مساهمتها في بلورة الفكرة العامّة موضوع الجملة، من دون أن نعرف بأيّ عنصر من عناصر الجملة يجب إلحاقها وربطها.

وحده المفعول لأجله المطلق (ablatif absolu)يمدُّ الجملة خارج أيّ بنية إعرابيّة بعدد من العناصر الاسميّة (elements nominaux)، التي لا شيء يحدّد وظيفتها الإعرابيّة (محلّها من الإعراب). ممّا لا شكّ فيه أنّ حروف الجرّ (prepositions) يمكنها هنا أن تتدخّل لتحديد هذه الوظيفة. ولكن، كما رأينا سابقاً، فإنّ نظام وآليّة استعمال اللغة اللاتينيّة لا يدفعان إلى استعمال هذه الحروف.

الفصل الرابع: خصائص اللغة اللاتينيّة

اختلف النقّاد في تقييم ما انطوت عليه اللغة اللاتينيّة من قدرات ممكنة وطاقات تعبيريّة. فهي عند بعضهم لغة الدقّة والإيجاز، ولغة الإسهاب والإطناب عند البعض الآخر.

فمن الأمثال والأقوال المأثورة، إلى التعابير القانونيّة والقضائيّة، إلى الكتابات المخطوطة على النُّصُب التذكاريّة، إلى فقدان أدوات الإعراب وما يُسمّى بأحرف الجرّ في العربيّة (prepositions)، إلى صلابة وتماسك الجمل المركّبة فقط من كلمات مُثقَلة بالمعنى، كلّ هذه العناصر تؤدّي إلى خصوصيّة صيغة التركيب اللغويّ اللاتينيّ المكثَّف والمركّز في آن. فلَكأنّكَ أمام عمارة مرصوصة البنيان أو قلعة شامخة، كلّ ما فيها حجارة ضخمة مرصوفة بقوّة وعزم. وإنّنا لَنتساءل مندهشين: هل على مثال قلاعهم وحصونهم صاغ الرومان مع الزمن هيكليّة لغتهم، أم على غرار عمارة لغتهم شيّدوا قلاعهم وهياكلهم؟

في هيكل الشعر مع هوراس (Horace) وسينيك (Sénèque)، نلاحظ الكثافة والروعة نفسها والمقدرة ذاتها في حرّيّة ترتيب الكلمات والتصرُّف بتعيين مواقعها داخل إطار الجملة، خارجاً عن أيّة أصول وقواعد ضاغطة إلزاميّة، لجهة تراتبيّة انتظام الكلمات في الجملة. ولكنّ هذه الكثافة تبقى خياليّة أكثر منها عقليّة.

عندما يريد الكاتب أو الخطيب الإحاطة بفكرةٍ ما وتحديد معالمها ومراميها، فإنّه يَعمدُ إلى تقليبها في وجوهٍ لغويّة عدّة واستعادة طرق التركيب اللغويّ بأشكال ومقاربات شتّى، وذلك بسبب النقص الحاصل في أحرف وأدوات الغرامطيق (النحو)، وفي أصول تركيب العبارة أو الجملة. مثال ذلك ما نجده في كتابات سينيك (Sénèque) وشطحات شيشرون (Cicéron) الخطابيّة واجتهادات المحاكم والترديدات الحاصلة في النصوص الليتورجيّة. فمن جرّاء هذه الحرّيّة والتكيُّف في ترتيب مواقع الكلمات من الجملة، تكون اللغة اللاتينيّة

أضف إلى ذلك عبقريّة شعب دفعت به الصراعات السياسيّة، منذ غابر الأزمنة، إلى امتهان الخطابة الجماهيريّة والسجال العامّ، حتّى غدا الرومان أسياد هذه الفنون.

من بلوت إلى القدّيس أغوسطينوس (٤٣٠ +)، عاشت اللاتينيّة، كبناء لغويّ، شديدةَ التماسك، كثيرةَ التناسق، مرصوصة البنيان. كثُرَ الشعراء والكتّاب في شتّى الأغراض والفنون. ونَحتِ الكتابةُ اللاتينيّة منحى التنوّع، وكأنّها تشهد على الجهود المبذولة- على تفاوتها في النجاح- لبلوغ الحالة اللاتينيّة المثلى.

بعد ذلك بزمن، راح يتزايد عدد الكتّاب ممّن واصلوا الكتابة في اللاتينيّة معتمِدين التنقيح والتصحيح وتصويب اللغة. ولكنّها لغة تعلّموها واقتسبوها في المدارس وعن طريق اطّلاعهم على نتاج كبار الأدباء والمؤلّفين.

أمّا اللاتينيّة المحكيّة (Latin parlé) فحافظتْ على شكلها إلى حين بدأ المتحدّثون بها يكتشفون مع الوقت أنّ ذلك الشكل والأسلوب لا يَمُتّان إلى اللاتينيّة الأصليّة بشيء.

عند ذلك تسارعت وتيرة التطوُّر وأدّت الإصلاحات اللغويّة وإعادة النظر في وجوه الصياغة إلى بُنى وتراكيب جديدة.

خلال القرن الحادي عشر برزت إلى الوجود اللغات الرومانيّة جنباً إلى جنب مع اللاتينيّة المتميِّزة التي لعبت دور اللغة العالميّة الدوليّة ولغة الثقافة والحضارة باميتاز.

قبل أن تمتدَّ من الفُرات إلى إيرلندا، ومن بحر الشمال إلى الصحراء، بدأ انتشار اللغة اللاتينيّة في إيطاليا نفسها.

ثمّة وفرةٌ من الكتابات تشهد، ومنذ الجيل الثاني والجيل الأوّل قبل المسيح، أنّ أقرب الجيران إلى روما انصرفوا إلى تعلُّم اللاتينيّة، مع أنّها في الأصل لغتهم.

هذه اللغة الآخذة في الانتشار هي في الأصل لغة منطقة "اللاتيوم" (Latium) التي هي مقاطعة صغيرة في إيطاليا الوسطى. وقد عرفت هذه اللغة الناشئة بعض التغيير، إنّما لم يحدث أن تفرَّع عنها عدّة أنماط لغويّة محلّيّة متنوّعة. وهنا الفارق الكبير بين اللاتينيّة واليونانيّة. مِثْلها مِثْل اليونانيّة والسَلْتيّة (Celtique) والجرمانيّة والسلافيّة، وغيرها من لغات آسيا الوسطى والهند، تنتمي اللاتينيّة إلى العائلة الكبرى: الهندوأوربّيّة.

في مفردات القانون والقضاء والدين ثمّة بين الهند ومنطقة "اللاتيوم" تناغم جيرة وقربى غريب حقّاً (Flamen = Brahman = Augur = Ojas). بعض سمات المورفولوجيا (أشكال الكلمات وتغيير أواخرها (Désinences)) في الأفعال والأسماء تجد أمثالها القريبة في لغات آسيا الداخليّة (بلاد الحثّيّين (Hittites) والطوقاريّين (Tokhariens))... كلّ هذا يفترض تاريخاً معقّداً لم تتوصّل اكتشافات عِلْم الآثار إلى سَبر أغواره.

الفصل الثاني: المفردات (Le Vocabulaire)

في القرن الأوّل قبل الميلاد لاحظ الشاعر لوكراس (Lucrèce) فقراً وشحّاً في المفردات اللاتينيّة (Patrii sermonis egestas). فهو يعتذر لاضطراره إلى استعمال الكنايات (periphrases)، أو استعارة بعض المفردات من اللغة اليونانيّة، حيث أنّه لم يجد في لغته اللاتينيّة المصطلحات التقنيّة المتخصِّصة التي يحتاج إليها. ولكن، هل ثمّة من لغةٍ احتوت في مخزونها اللغويّ كلمة "ذرّة" (atome)؟

في مؤلَّفه Laterculi، يُحصي Gradenwitz P. 52.290 لفظة، والمعجم الفرنسيّ Le Petit Larousse يُحصي ٥٠.٠٠٠ لفظة. الكاتب الفكاهيّ بلوت (Plaute) استعمل ٨٧٩٢ لفظة، وأكثر منه شيشرون (١٠.٠٠٠) وبالمقارنة، ومع فارق الزمن، في مسرحيّات الشاعر الكلاسيكيّ الفرنسيّ كورناي (Corneille) فقط ٣٥٦٠ لفظة. النسبة الحاصلة بين الأسماء والنعوت والأفعال والأحرف تختلف بحسب الأغراض والفنون الأدبيّة. وهذه الحال نلاحظها اليوم في مسار اللغات الأوروبّيّة.

إنّ كثيراً من الكلمات تحمل- حتّى في نظر العامّة من الناس غير الضالعين في عِلْم اللغة- دمغة وطابع ارتباطاتها الأصليّة وخصوصيّة اشتقاقاتها. كلّ كلمة يدور حولها كلمات مشتقّة من الجذر نفسه، وغالباً ما يحتفظ هذا الجذر بالطاقة الإنجابيّة لتوليد كلمات أخرى.

يجب ألاّ نتهيَّب أو نتوجَّس من هذا التنوُّع المفرط في المفردات اللاتينيّة، فهي تمتاز عن غيرها كونها كلمات مركَّزة أكثر (plus concentrés) وأشدّ صلابةً وتماسكاً (plus construits - plus structures).

أمّا في ما يتعلّق بالأدوات والحروف (prepositions)، فإنّ عددها وافرٌ في اللغة اللاتينيّة، ولكنّها نادرةُ الاستعمال ووظيفتها غير مأمونة. كذلك الأمر بالنسبة إلى أدوات التعريف (articles)، فإنّها أصلاً غير موجودة في اللغة اللاتينيّة التي لا تستعمل هي أيضاً أدوات الاختصاص (adjectives possessifs).

الفصل الثالث: قواعد النحو والإعراب (la syntaxe)

ثمّة ظاهرة أخرى أكثر بروزاً تستوقفنا وتلفت نظرنا أكثر من غيرها في الجملة اللاتينيّة، ألا وهي الحرّيّة الواسعة في تنظيم تَمَوْضُع الكلمات داخل الجملة وترتيب مواقعها. في الجملة الفعليّة حرّيّة تامّة في تحديد موقع الفعل. الفاعل والمفعولات على أنواعها تنتظم داخل الجملة بحرّيّة كاملة وبأيّة طريقة. كذلك في الجملة الاسميّة، ثمّة كامل

من وجوهنا

جرجس صفا نعمه

د. مارون رعد

ولد في دير القمر سنة ١٨٥٠. هو مؤرّخ مستنير نقل مروياته بالتواتر عن جدّه لأمّه غالب آغا شاول نعمه، الذي كان نديمَ الأمير بشير وقيّم قصره، فجاءت حيّة ودقيقة وصادقة.

درس علومه الأولى في مدارس بلدته دير القمر. وعندما بلغ مرحلة الشباب، كان الشيخ الشاعر يوسف الآسير قد أصبح مدّعياً عاماً لدى المتصرّف الأوّل داود باشا، فدرس عليه الفقه واللغة العربيّة لمدّة ثلاث سنوات، انتقل بعدها الأسير إلى بيروت، فالتحق به جرجس ليتابع عليه دراسة الفقه، وظلّ هناك حتّى سنة ١٨٧٠، عاد بعدها إلى دير القمر حيث كانت أنشئت «المدرسة العزيزيّه» بسعي من المتصرّف فرنكو باشا، فعلّم فيها اللغة العربيّة والفقه طوال خمس سنوات تخرّج خلالها على يده عدد من الكتّاب والمفكّرين. وعمل في الوقت نفسه مصحّحاً لمطبعة «لبنان». وكتب مقالات في جريدة «لبنان» أوّل صحيفة أنشئت في هذا العهد. وسنة ١٨٧٥ عُيّن قاضياً في محكمة المتن وتقلّب في وظائف قضائيّة مختلفة. وعندما نشبت الحرب العالميّة الأولى نُفي إلى القدس ثمّ إلى كيرشاهر في أنقرة مع أفراد عائلته. وبعد نهاية الحرب سنة ١٩١٨ عاد إلى وطنه وبلدته ليتولّى رئاسة بعض المحاكم، ولينصرف بعد ذلك إلى ممارسة مهنة المحاماة، وقد ظلّ في عمله هذا حتّى وفاته في ٥ تشرين الثاني ١٩٢٣ حيث نقل جثمانه إلى دير القمر ودفن في احتفال مهيب.

كان جرجس صفا جيّد الذاكرة، واسع الاطّلاع، صحيح النقل، مدقّقاً في قواعد الكتابة وأصولها، غزير المطالعة التي ظلّ يملأ أوقات فراغه بها حتى آخر يوم من حياته، وشارك مع المؤرّخ جوزيف نعمه نسيبهِ في تصحيح كتاب: «البصائر النصيريّة» في المنطق الذي كان يطبعه في «المطبعة العثمانيّة». كما دوّن المرويّات المتعلّقة بحوادث زمانه، ولا سيّما أخبار الأمير بشير وحكومة جبل لبنان وأخبار متصرّفيّة. ومن أعماله أيضاً جمعه لحوالى مئة قصّة من أقاصيص تاريخ لبنان، مع التركيز على مغازيها. وله: «مجموعة أمثال» وطنيّة مشروحة، و«نوادر المشاهير» الذين عرفهم أو قرأ عنهم، ومفكّرات كثيرة في نفائس المخطوطات. وممّا ألّفه في شبابه: «مختصر في النحو» و«مبادئ القراءة». وقد وضعها لتلامذة مدرسة الحكمة بأمر من رستم باشا، وطبعها. ومن المؤلّفات التي لم تُطبع له: «مجموعة شوارد الفقه» وشرح لمَجمع البحرين»، بالاضافة إلى شرح نفيس على «مجلّة الأحكام العدليّة» و«رسالة في آداب البحث» و«رسالة في المنطق» و«ذيل لكتاب الغرائد البهيّة» في الفقه لمحمود حمزه مفتي دمشق، بالإضافة إلى تعاليق كثيرة على كتب خزانته، و«سرايا بيت الدين» في مجلّة الكلّية، وترجمة ابن حيّان والكيمياء القديمة في مجلّة «الطّبيب» البيروتيّة، و«مقالة في الطب القديم» التي تحتوي، بالإضافة إلى الموضوعات الطبيّة، منظومات شعريّة رشيقة وطريفة. كما تميّز أيضاً بجمال خطّه. وله منسوخات بقلمه لخزانة معلّمه الشيخ يوسف الأسير. كان ملمّاً بالتركيّة والفرنسيّة. وتخرّج عليه كثير من الأدباء والفقهاء والخطّاطين. كما تميّزت خزانة كتبه بمخطوطاتها النفيسة من فقهيّة وتاريخيّة وعلميّة وأدبيّة، ولكنّها بيعت وتبعثرت بعد قرار نفيه.

باختصار، يمكن القول: كان جرجس صفا من العلماء المجتهدين، أصحاب الصبر والجَلَد المتميّزين بالفكر الثاقب والذهن الحاد وسعة الاطّلاع وصحّة الرواية وصواب النقل، والأخلاق الجيّدة والمعشر اللطيف، والتضلّع في الفقه والأدب واللغة.

له مخطوطة عن عهد المتصرّفين، نشرت تباعاً في مجلّة المجلس النيابيّ مع التعليق عليها من قبل المؤرّخ يوسف ابراهيم يزبك.

اللغةَ الفضلى لصَوغ مجموعات واسعة من المقاطع والفقرات التي لها أبلغ التأثير على الخيال والشعور. ولا غَرْوَ في ذلك، فاللاتينيّة هي اللغة المثلى للسياسيّين والوُعّاظ والمرشدين من دون أن تفقد مضمونها الثقافيّ العامّ.

وإن اعترى هذه اللغة نقصان في الوضوح على مستوى العبارة أو الجملة (proposition)، فإنّها تفيض بالوضوح والإشراق على مستوى الجملة المركّبة (phrase complexe).

الفصل الخامس: المحطّات المشرقة في تاريخ اللغة اللاتينيّة

تاريخ اللغة اللاتينيّة هو تاريخ الإرادة والعزم والتصميم على الخَلْق والإبداع. عُرِفَ عن شعوب العصور القديمة أنّها كانت تتخلّى برِضاها عن استعمال لغتها غداة اتّصالها بثقافات وحضارات أرفع منها شأناً وأهميّة.

ماذا بقي من اللغة الغاليّة (Gauloise) (لغة بلاد الغال قديماً، فرنسا اليوم)، أو من اللغة الإتروسكيّة (Etrusque)، أو من لغات السكّان الأصليّين في كلٍّ من إسبانيا وإيطاليا...؟

منذ القرن الثامن كانت اللغة اليونانيّة تغدو لِتصبح لغة جميع سكّان بلدان الحوض المتوسّط. كلّ المدن الكبرى والمقطعات الساحليّة كانت ثنائيّة اللغة (bilingue)، وبينها مدينة روما ومقاطعة اللاتيوم (Latium).

في القرن الرابع، سمّى هيراقليد دو بون (Héraclide du Pont) روما مدينة يونانيّة. كان المسار الطبيعيّ للتاريخ يقضي بأن يتخلّى الرومان عن لغتهم اللاتينيّة، ولكنّنا نرى أنّه في الوقت الذي كان فيه مقضيّاً على الرومان أن يطلّقوا لغتهم، رأيناهم يتشبّثون بها ويعملون على تثبيتها وترقيتها وتحسين مفرداتها وتجويد ألفاظيّتها، وذهب بهم الحال إلى إعادة إحياء وتركيز بعض الحروف الساكنة أو الصامتة (consonnes) المنقرِضة بفعل الإهمال وسوء اللفظ والنطق.

في كلّ حقبات تاريخهم، ظلّ الرومان عيناً ساهرة، غيورة على لغتهم. فهم الذين لم يكن لديهم سوى لغة لاتينيّة وحيدة، هي اللغة المحكيّة في مدينتهم، راحوا في كلّ مرّة ينصرفون فيها إلى الكتابة يُتحِفون أنفسهم بلغةٍ شعريّة أنيقة مُغايِرة ومميَّزة عن تلك التي دأبوا على استعمالها في الأغراض النثريّة، وبذلك اقتفوا أثر اليونانيّين الأغنياء آنذاك بعدد لغاتهم المحلّيّة. وقُيِّضَ للرومان أن ينجحوا في تلك التجربة- المغامرة أيَّما نجاح حتّى أتوا بالمعجزات والروائع، كتبوها في هذه اللغة التي تعمّمت على جميع أنحاء الروماني.

وسرعان ما انتقلت عدوى هذه الأساليب وطرق التعبير إلى الكتابة النثريّة، ومنها انتقلت في ما بعد إلى سائر اللغات الرومانيّة (Langues Romanes) وريثة اللاتينيّة.

ثمّ إنّ قواعد النحو والإعراب (la syntaxe) في اللغة اللاتينيّة تتميّز بالخصائص الآتية:

أ- اعتمادٌ مفرط على الجمل الاسميّة القادرة على حمل طوفان المعاني.

ب- رفضٌ متعمَّد ربّما لاستعمال أحرف الإعراب وأدواته.

ج- غنىً في المفردات التي أثّرت بما غرفته وتطعّمت به من فيض الاقتباسات والاستعارات عن اللغة اليونانيّة. في هذه التجربة الموفَّقة علا شأن اللغة اللاتينيّة بما ارتدته وتزيَّنتْ به من أثواب قشبٍ، حلاها الأجمل في هذه النكهة الإغرابيّة (exotisme) الجديدة التي جوهرها حُسْنُ اختيار الألفاظ والكلمات القديمة والجديدة المستحدَثة وفنّ تركيبها وصياغتها بطريقة وأسلوب فريد مميَّز.

مع فرجيل (Virgile) وجيله من الشعراء نزعةٌ في الشعر إلى الطلاوة والنغم المتناسق، من خلال العبارات والجمل المترابطة المعطوفة (coordonnées).

أمّا في النثر، فالسرّ كلّ السرّ كان في امتلاك سرّ فخامة العبارة والجملة الخطابيّة وامتداد الصوت والنبرة والإسهاب وجزالة اللفظ والأسلوب.

لقد تميَّز شيشرون بخطاباته الشهيرة، فاكتشف سرّ الإيقاعات والأنغام والموسيقى اللفظيّة. ولقد أكدّ بأنّ الإيقاع النَّغَميّ في الجملة هو عنصر تنظيم ووضوح إلى جانب قوّته التأثيريّة. وعرف شيشرون أيضاً كيف أنّ طرائق الإيقاعات المتوازنة تعطي على مستوى المضمون والمعنى أوجهَ التضادّ والطِّباق والجِناس والمقابلة، قمّة الإيحاء والانفعال والتأثير.

الخاتمة

يبقى أنّ هذه الدراسة الموجَزة عن اللاتينيّة في واقعها وخصائصها، لا تدَّعي الإحاطة الشاملة بمختلف جوانب هذا الموضوع.

غرضها فقط رسم المعالم وتحديد الإطار العامّ، مع الإشارة السريعة إلى بعض الخصائص المميَّزة لهذه اللغة، من دون التوسُّع في التفاصيل.

وهدفها الأساسيّ تمهيد الطريق وفتح بابٍ ونوافذ مضيئة أمام كلّ مَن يستهويه غوى لغة الرومان الذين، ذات زمن، كانوا أسياد العالم وتركوا بصماتهم على الأجيال اللاحقة.

والدي كما عرفته

ابرهيم يوسف يزبك

الأب والابن

عَيناهُ الدّاميتان ووجهُه الجريح وشَعره المشتعل، في هَرْوَلةٍ من زاويةٍ إلى نافذة حامِلاً صَفائحَ ليرميَ بها في حديقة الدّار، هي، على ما أُرجِّح، أَقْدَمُ صورةٍ لوالدي في ذهني. وقد انطبَعَ ذاك المشهدُ الفظيع في ذاكرتي، على غَيْهمه، إذِ الدّخانُ قد تفشّى في أرجاء المنزل فأضفى عليه ضَبابةً تُعمي القلبَ قبلَ العَين.

وَلم يَقتصرِ اللهيبُ على رأسِه ووجهه، بل إنّه أدركَ منهُ اليدَين أيضاً. فَبَدتِ الأصابعُ وكأنّها شموعٌ اشْتَعَلَ فيها الفَتيلُ مِن الدّاخل، فَتدَفَّقتْ ألسنةُ النار في أطرافها، فوقَ الأظفار وتحتَها؛ وَلَو لم يُدْرِكْه رجالُ الإطفاء، لواصَلَ نَقْلَ الصّفائحِ وَإلقاءَها خارجاً، تَدارُكاً لانفجارها في البيت وإطاحَتِها المَبنى كلَّه، لأنَّ وقُودَها بنزين صافٍ وكاز منزليّ.

ولا أنسى تلكَ السيّارةَ الحمراء الكبيرةَ التي حُمِلَ إليها، فانطَلَقتْ به في زَمْرِ صاعق، ومَعَه والدتي التي أوكلَت أمري إلى عَمّتي، صاحبةِ البيت المحترق. فآوانا أنسباءٌ، دارهُم قريبة. وفي اليوم التّالي، غادَرْنا بيروت إلى بيتنا في الحَدَث. وَوُضِعْتُ في عهدةِ خالةٍ وجَدّة.

يومَ عادَت والدتي إلينا، أوّلَ مرّة، ولا أدري كم كانَ مَرَّ على ذاك اليوم الأَيْوَم، ضمَّتني إلى صَدرِها وقالَت لي إنّها راضيةٌ عن حُسن سُلوكي، وإنّ أبي، الذي صَحَّ، مُشتاقٌ إليّ وفَخورٌ بي، لأنّني بَيَّتُّ، في غيابه، أنّني "رَجُل البيت". وَرَأَتْ، مُكافأةً لي، أن أُرافقها في غدٍ لعيادةِ الوالدِ في المستشفى.

كان جالساً في قاعةٍ كبيرة، مُلْتَفّاً بعباءَةٍ سمراءَ، يَبْتَسم. لكنَّ وجهَه المخَضَّبَ بالحُمرة، بِفعل المِركورِكروم، ذَكَّرني بالحريق. وحَسِبْتُ، وأنا في عامي الخامس، أنّها النار صَبَغَتْه بلونها.

قَبَّلني بحنوٍّ وأغمض عينيه لحظات، نَسِي إبّانَها زُوّاراً قد تَحلَّقوا من حَوله، وبَينَهُم رِجالاتٌ عَرفْتُ بَعضاً مِنهم، وأسماءَ أكثرهم بعدَ سنوات. وكان بِضعةٌ منهُم، ولا سيّما الآتين من بَعيد، يُشاركونه في مائدةِ غَداءٍ يَستضيفُهم إليها صاحبُ المستشفى وطَبيبُه الأوّل المرحوم نقولا ربيز. وقد أورثَني والدي وَفاءً كبيراً لذلك النِّطاسيّ النَبيل. فلولاه، ولا ننسَ رحمةَ الله، لقضى الوالدُ من حروقِه. أو، على الأقلّ، خَسِرَ يَدَه اليُمنى؛ وَقد نالَتِ النارُ مِنها أكثرَ مِنَ الأُخرى، وكأنَّها مَحَشَتْها مَحْشاً. ولكنْ، باعتِناء الدكتور ربيز وعِلاجه الدَّؤوب، نَجَتِ اليَدُ من التَّلَفِ واستعادتْ بَعضاً من حَيَويَّتها ليتَسَنّى لأصابعها الأساسيّةِ الثّلاث الإمْساكُ بالقلم. وإنّه، آنذاكَ، إنجازٌ طِبيّ يُحاكي المُعجِزة. وَقَد

أَخْبرني الوالِدُ، بعدَ سنواتٍ، أنَّ احتِمالَ شَلَلِ يَدِه كان هاجسَه الدّائم في المستشفى. وقد قَضَّ عليهِ المَضْجَعَ ليلاً ونهاراً. وَروى لي كيفَ شَرَع، في تلك الأيّام، يَتَمرَّنُ على الكتابة بالشّمال حتّى أنّه استَطاعَ، في غُضون أسابيعَ، أنْ يَرْمّمَ الكَلِمات بشيءٍ مِن مُرونة. غيرَ أنَّ لُطفَ القَدَرِ وَمُواظبَةَ الطّبيب وَعزيمةَ الوالدِ أنقذَتِ اليدَ اليُمنى، صاحبَةَ الخَطِّ الأَنيق، المُميَّزِ من كِتابةِ الكثيرين، بروحِهِ الفارسيَّة وأعطافِه المَمْشُوقَة. وهو أسلوبُ "النَّسْتَعْليق" الذي نَهَجَه أُدباؤنا وَكُتّابُنا منذ القرنِ التاسعَ عشرَ إلى أواخرِ القرنِ الماضي.

اليومَ، إذ أسْتَعيدُ هذه الأَحداثَ، أَجِدُ أنّ الحريقَ الذي أصابَ والدي قد طبَعَ ذِهني مَدى العُمر، ولا سيّما أنّ أقْدمَ جُروحي آثارُ حريقٍ أيضاً، أصابني قَبْلَما يُصيبُ والدي بنحوٍ من سَنَتين: كُنتُ دارجاً، وفي عَبَثي الصِّبيانيّ، قَفَزْتُ إلى قِدْرِ حَليبٍ يَغلي، وكَبَبْتُه على صَدري، فأدْرَكَتْني مِنهُ حروقٌ كادَتْ تُودِي بي. وقد أُلْزِمْتُ الفِراشَ أيّاماً أُصارعُ

هو

يوسف ابرهيم يزبك

- وُلد في حدث بيروت عام ١٩٠١.
- والدُه أديب وصحافيّ وخطّاط.
- والدتُه أدال عبداالله الشدياق من سلالة أحمد فارس والشيخ طنّوس الشدياق.
- توفّي والده، وهو ما يزال في الثالثة من عمره.
- تعلّم في مدرسة مار يوسف الأنطونيّة (المعهد الأنطونيّ اليوم).
- ترك المدرسة عام ١٩١٦، عندما أقفلت المدارس بأمر من جمال باشا؛ وقد نال شهادة انتهاء الدروس بتفوّق.
- أكمل دراسته في باريس، حيث نال دبلوماً في العلوم السياسيّة.
- شارك في تأسيس حزب الشعب اللبنانيّ في العام ١٩٢٥؛ وكان من أهدافه محاربة الانتداب وتحقيق العدالة الاجتماعيّة.
- تفرّغ للعمل الصّحفيّ، وأنشأ جريدة الانسانيّة في العام ١٩٢٧، والتي عطّلتها سلطات الانتداب بعد مدّة وجيزة.
- ساهم في تأسيس وتحرير العديد من المجلاّت والصحف، ومنها: الأحرار، الحديث، المصوّر، الجمهور، اليوم، المعرض، البيرق، الديار، النهار، السفير، المستقبل، الشعب، الأسبوع العربيّ، ماغازين.
- أسّس، في العام ١٩٣٤، جريدته السيّار، التي ما لبثت السلطات أن عطّلتها على غرار ما فعلت مع صحيفته الأولى الانسانيّة.
- تفرّغ، في العام ١٩٥٥، لكتابة التاريخ، وأسّس مجلّته أوراق لبنانيّة.
- نال شهادة دكتوراه فخريّة في فلسفة التاريخ من جامعة شيفلد البريطانيّة، في العام ١٩٥٩.
- كان أوّل من درّس مادّة تاريخ الصّحافة العربيّة في الجامعة اللبنانيّة.
- تزوّج في العام ١٩٣٨ من لور خليل نادر، ورُزقا أربعة أولاد: ابرهيم، حنان، عمر، مارون.
- هاجر إلى باريس في أوائل الحرب اللبنانيّة ليقينه من عبثيّتها.
- عاد إلى لبنان، عام ١٩٨٢، حيث توفّي في منزله في الحدث، وهو في عزّ عطائه، على الرّغم من بلوغه الواحدة والثمانين.

- من مؤلّفاته:
- مأساة المواشي البشريّة
- النّفط مستعبد الشعوب (أوّل كتاب تكلّم على أهميّة النفط وتنبّأ عن مصير الشرق الأوسط)
- ١٤ تمّوز
- المحرّرون
- فقير أمام القضاء
- ثورة وفتنة في لبنان
- دريفوس
- ليلة المَصْمَك
- أوراق لبنانيّة
- مؤتمر الشّهداء
- كتاب الشّهيد
- تطوّر الشعور العربيّ
- وليّ من لبنان
- داود عمّون
- حكاية أوّل نوّار
- الجواد العربيّ
- الجذور التاريخيّة للحرب اللبنانيّة

وسط الأبناء والأحفاد

إلى باريس إلى شارْتر إلى منطقةِ الآلب. وكلفةُ السَّفرة، وكيف أنسى؟، خمسُمئة ليرة. وَهوَ مَبلَغٌ لا يُستهانُ به؛ ولا سيَّما أنَّ ميزانيَّةَ بيتنا في صِراعٍ سِجالٍ مع البُحْبُوحَة، مَعَ أنَّ دِرايَةَ الوالدَين غالباً ما تُرجِّحُ الكفَّةَ الأخرى، فتُوَفِّرُ لنا سَعَةَ العَيش، واكتفاءَنا، وراحتنا. ففي ذاتِ ظَهيرة، وكنتُ مُسْتلقياً على فراشٍ مُتظاهراً بالنَّوم– وكُنّا مُرغَمينَ في أيّامِ الصَّيف على قَيلولةٍ هِي كُرْهٌ لنا– سَمِعتُ والدتي تَعرِضُ على الوالد مَوضوعَ الرِّحلةِ المدرسيَّةِ ومَسألةَ تأمينِ خَمْسِمئةِ ليرة. وأذْكرُ أنّ الوالدةَ، وفي يَقينها بأنّ صَرْفَ مِثلِ هذا المَبْلَغِ يُكبِّدُ موازنتَها عَجْزاً مُضْنِياً، اقْتَرَحَتْ أنْ تَتَولّى تَدْبيرَ الأمر، وإقناعي بعدمِ المُشاركَةِ في السَّفرة، على أنْ أُسافِرَ في رِحلةٍ تالية، بَعْدَ سَنَةٍ أو سَنَتَين. وَراحَتْ تُؤكِّدُ على الوالِدِ سهولةَ إقناعي، وتَفَهُّمي وَضْعَنا المادّيَّ الذي لا يَتَحَمَّلُ مِثلَ تلك النَفَقة. واقْتَرَحتْ أن تَصْطَحِبَني إلى "مَكتبة أنطوان" في بيروت (رَحِمَ اللهُ الصَّديق بيار نَوْفَل) وتَشتريَ لي بضعةَ كُتُبٍ، تُسلّي أيّامَ عُطلَتي، وَتُغْني مَكتَبتي "الخاصّة" التي كانت مُجلَّداتُها تُناهِزُ المئةَ كتاب. وكَفِلَتِ الوالدةُ إرضائي بهذا الحَلّ، "لأنَّ الصَّبي عاقِلٌ ومُتَفهِّم". أَطْرَقَ الوالدُ لحظةً، ثمّ أخَذَ يَحكُّ شَفَتَيه شأنَهُ كلّما أَخَذَتْه حيْرة، وسَرعانَ ما نبذ الاقتراح. قالَ ما مَعناه: "لا أرْتضي (لابرهيم) أنْ يَجدَ نفْسَه محروماً السَّفَرَ بينَما رِفاقٌ لـ (...) يُسافرون. وَلا أُريدُ أن يَشعُرَ بأنّه أُقصِيَ عَنِ الرّحلة لأنَّ والِدَه غيرُ مَيسور. لا! لا أَوَدُّ أن يَحُلَّ به مُرَكَّبُ نَقص يُثيرُ لَدَيهِ نَقْمةً على الحياة وعلى البَشَر فيصبِحُ هَدّاماً، وحاقِداً على كلِّ ذي نِعمة. بل إنَّني سوفَ أُؤمِّنُ المبلَغ ولو أُكْرِهْتُ على استدانته. فلن يُستثنى فَتانا مِن جَوقِ أترابه التلامذة".

... وسافَرتُ مع فِرقةِ الكشّافة.

وَعلِمْتُ في ما بَعْدُ أنّ الوالدَ تمنَّعَ، إثرَ ذلك، عَنْ أيِّ هِندامٍ جديد طَوالَ سنَتَين، مُكتفياً بثيابِه القديمة التي، بفضلِ الفرشاةِ وَالمِكواة، حافَظَتْ على قيافتِها وحُسْنِ طَلَّتِها، وَهُما ضَروريّانِ في كلِّ مجتمَعٍ مَنظور.

أيّامَ ذلك سَمِعْتُه لأوّلِ مرّةٍ يُرَدِّدُ شِعراً لفارس الشدياق (أحمد فارس)، أَعادَه على مَسْمَعي مِراراً في ما بَعْدُ، وحتّى يَومِهِ الآخِر.

قال:

تَبّاً لِعَيْشِ الكَتَبَهْ
تَبّاً لَهُ ما أَصْعَبَهْ
تَبّاً لِعَيْشٍ يُرْتَجى
مِنْ شِقِّ هذي القَصَبَهْ

❖ ❖ ❖

لَمْ أَعرِفْ في خِلالِ سنواتِ حداثتي وصِباي، الدَّلالَ والغنْجَ والتّلوِّي، التي كنتُ أَلْمسُ مَعالمَها في مُعاملةِ بعضِ آباءِ أترابي لَهم. بَلْ، بخلافِ ذلك، كانَ في تَعاطي والدي مَعي قساوَةٌ: فلا ضَمٌّ ولا بَوْسٌ ولا عِناق. وَقد يَرجِعُ ذلك، حَسْبَما أكَدَّتْ لي مِراراً والدتي، وَوافَقها خؤولةٌ وعَمَّةٌ ومُقَرَّبون، إلى تَشابُهِنا في الطَّبع. وما كانَتْ تلكَ المِيزةُ لِتُقرِّبَ بيننا. فأنا جامِحٌ في عُنفوانِ أراه رُجُولةً، وهو مُتَشَدِّدٌ في مواقفِه، متَحَفِّظٌ في هَواه، مُتَصلِّبٌ في مَبادئِه، يأْنَفُ أنْ يُبديَ أيَّ مُبادرةِ وِدٍّ قد تُشبهُ الضَّعْف، وخصوصاً مَعَ أولادِه، وبَدْءاً بالبِكر؛ وهو، في نَظَرِه، قُدْوتُهم، وعِلَّةُ استقامَةِ كُلِّ ثلْمٍ في أثلامِ دُروبِهم، أو اعْوجاجِهِ، "كالثَّورِ الكَبيرا". ولذلك، كنّا في مُواجهةٍ مُستَمرّة. وكنتُ أَدفَعُ ثَمَنَ كلِّ "معركة" مع السُّلطة الأَبويّة، وقَدْ أَربحُ بَعضاً منها، ثمّ يأتي إخوتي بَعْدَ مرورِ العاصفة ويَقطفونَ ثَمَرَ مُعاهَدةِ السَّلام.

في المكتبة

الموتَ وَيُصارِعُني، وَلَم أَبرأْ إلاّ بَعدَ أشهُر، ما يَحمِلُني على القَولِ بأنَّ لِلنّارِ في قَدَري شأواً، وَقد شَوَتْني مَرَّتين. فَرجائي أنْ يَقِيَني اللهُ شَرَّها في الآخِرة إذْ أدَّيْتُ لها ضَريبتَها في الأُوْلى.

❖ ❖ ❖

أيّامي مَعَ والدي، في سنواتِ الطُّفولةِ والصِّبا، يَمُوجُ ذِكرُ مُعظمِها في خَلَدي كالغَيْمِ الأبيَضِ في سَماءٍ صافية. لكنَّ أحداث بعضِها ما زالَتْ واضِحة، جَلِيّة، كأنّها من يَومِ أمس. فَلا أنسى أنّه كان قاسياً في مُعاقَبتي إنْ شكا أحدٌ إليه إساءةً ألْحَقْتُها بِهِ أو شَيطَنةً اقْتَرفْتُها، ولا سيّما أنّني كنتُ في المدرسة طائشاً أرْعَنَ أُوثِرُ اللّعِبَ على الدّرس، والتّطَلُّعَ إلى نافذةِ الصَّفِّ، المُنفتِحة على العَيشِ الطَّلْق، على النّظر إلى منبر المُعلِّمِ واللَّوحِ الأسْوَد. وَلم أكُنْ مُولَعاً بالمعلِّمين والنُّظّار، بَل آنَفُ مُحاباةَ هؤلاءِ والتَوَدُّدَ إلى أولئِكَ. وقد يكونُ أحْلَكَ أيّامي، آنذاكَ، آخِرُ الأسبوع، عندما أرجِعُ إلى البيت حامِلاً دَفْترَ علاماتي المدرسيّة. فغالباً ما كانت والدتي تَتَدَفّقُ عليَّ بالتَّوبيخِ والوَعيدِ، ثمّ يأتينا الوالدُ، فيُواصِلُ، ويُصَعِّد. وَقَد يَتَحوَّلُ التّوبيخُ إلى تأنِيبٍ، والتّأنيبُ إلى تعنيف. وَكَم من مَرّةٍ كنتُ ألْجأُ إلى جَدّةٍ أو خالةٍ أو خال، أَرجوهم أن يسبقُوني إلى البيت في ذاك اليومِ العَصيب، يومِ تَقْديمِ دَفْتَرِ العَلامات، لَعلَّ حُضورَهُم يَشْفَعُ بي ويُخَفِّفُ مِن شِدَّةِ التّأنيبِ الأَبويّ. لكنَّ تلكَ الغيمةَ الدَّوْريَّةَ، على سَوادِها، كانَتْ تَمُرُّ في غضونِ يومٍ أو يَومَين... فأعُودُ إلى اللّهوِ والطَّيش.

خِلافاً لِما كانَ يَظُنُّ الكثيرُونَ من أترابي، لم يَكُنْ والدي واقفاً على تعليمي، بل انّه أوْكَلَ هذه المهمَّةَ إلى والدتي، يَقيناً منهُ بأنَّ تربيةَ الأحداثِ حكرٌ على ربّاتِ الحجال. لكنَّهُ، بَينَ الحِينِ وَالحِين، كانَ يَجُودُ عليَّ بمبدأ مِن مَبادئ الصَّرْفِ أو اللُّغة. وأكادُ أقولُ: يُنزِلُ عليّ قاعِدةً نَحْويَّة. وَذلكَ، مُصادَفَةً، لدى مُرورِهِ بالطّاولة الكبيرة التي انْكبَبْتُ عليها الوالدةُ، فوقَ رأسي، شارِحةً، مُعلِّمة؛ فيسمَعُ، وَيُعلِّقُ، ويُلقي القاعِدَةَ اللاّزِبة، وَيَنْصرِفُ. وإنّي أقولُ، اليومَ، إنَّ مُعظَمَ تلكَ الأُسُسِ والمبادئِ التي دَخلتْ آنذاكَ في أُذنٍ وَخَرجتْ مِن الأُخرى، قَدْ تَركَتْ، على رغمِ المَظهَر، أثراً راسِخاً في حافِظتي الطَّريئة. وقد نَفَعَتْني كثيراً في ما بَعْدُ. وما زالَتْ.

❖ ❖ ❖

أكثر اجتماعِنا، سَنواتِ الصِّبا والفُتُوَّة، كان في الصّيف. وكُنّا نُمضي أشهرَ العُطلةِ الثّلاثةَ في قَرنايِل، البلدةِ الزّاهيةِ حُسْناً وروحاً، في قِمّةِ المَتْنِ الأعلى. في تلك الفترة، كان والدي يَغْتَنِمُ الفُرصةَ ليتَفَقّدَ مَسيرتي العِلميّةَ وَيُوجِّهَ مُطالَعتي، أو في الأصَحّ، ليُشارِكَ في هذا التَّوجيه الذي كان بيدِ الوالدة. وكانَ، في أيّامِ العُطلة، يَختارُ لي بعضَ الكتُبِ لأقرأها وأُلَخِّصَها في صَفَحاتٍ قصيرة. وكانَ بَعضُ أصدقائِهِ الأُدباءِ والصِحافيينَ والفنّانين، إلى سياسيّين آتين مِن بلادٍ مُجاورةٍ، يُشاركون في امتحاني. وهَل أنسى أيّامَ كنتُ أقفُ أمامَ الوالد "وحَضْرةِ المُسْتَشارين" الجالِسين حَولَه، عارِضاً تلخيصاً "للأيّام" أو "لفَتاةِ غسّان" أو "للبؤساء"؟ وكانَ "حَضْرةُ المستشارين" يُشيدُون بعَمَلي، في حِينَ كان الوالِدُ يَنْقُدُ، ويَنْصَحُ، ويُوصي بِمزيدٍ مِنَ المُثابرةِ والجِدّ.

في تلك الآونة، حَصَلَ أمرٌ أثَّرَ فِيَّ كثيراً. وما زالَ هذا التأثيرُ يَزْدادُ عُمقاً. لأنّه قد يُلخِّصُ شخصيَّةَ الوالد قلباً ورُوحاً. ففي مطلعِ صَيفٍ مِن تلك الأصياف، أعَدَّتْ فرقةُ الكشّافة في مدرستِنا رحلةً بالباخرة إلى مرسيلية، ثمَّ جَولَةَ شهْرٍ كاملٍ في أرجاء فرنسا، من لورد

مع اسكندر الرياشي وجبران تويني

متحدّثاً إلى الرئيس سليمان فرنجيه

بالقسطِ الكبير في تَعليمي، ولا سيّما أنّه فرضَ عليَّ أن أكتبَ إليه، كلَّ أسبوعٍ، وفي أقصى حَدٍّ، كلَّ عَشَرةِ أيّام. وكان يُجيبُني في رسائلَ تَتميّزُ مِن كلِّ مراسلةٍ، إذْ مُعظَمُ ما فيها تعليقٌ وتَنقيحٌ وتصويب. ولا أظُنُّني أُبالِغُ إذْ أَزْعُمُ أنّ خِطاباً من أربعِ صفحاتٍ، بقلمِه، كانَ يَتَضمَّنُ، على الأقلّ، ثلاثَ صفحاتٍ نَقْداً لِما كَتَبْتُه له في آخرِ رسالةٍ، وصَفْحةً يتيمةً حَيْثُ تَطْمينٌ وأخبارٌ وَوَصايا. ولم يَكُنْ في رسائله مُسرفاً في المُلاطفةِ والتّودُّد، لا يُبدي أيّاً من مشاعرِ الحَنينِ المألوفة، إنّما كان يُعبِّرُ عن عاطفتِه لِماماً، و"بالوكالة": "والدتُك مُشتاقةٌ إليكَ وتُوصيك بالانتباه إلى صحّتِكَ والاهتمامِ بدروسِك. إخوتُكَ يُقبّلونكَ ويَنتظرون بفارغِ الصَّبرِ عودتَكَ إليهم ناجحاً مُعافى. أصدقاؤكَ يُهْدُونكَ السّلامَ والتّمنّي. ومِثْلُهم أقارِبُنا والجيران. فاكتُبْ لهُم وَطَمْئِنْهُم ولا تَنْسَ الاستمرارَ في مراسلةِ والدِك المُحِبّ..." وقد يكونُ هذا النَّعتُ تَعْبيرَ المَوَدَّةِ الوَحيدَ الذي كان يُدرِجُه في رَسائلِه، بَل في خِتامها، قَبْلَ التّوقيع، وكأنّ خَطَّه أو أُسلوبَه أو دِفءَ ديباجَتِه بحاجةٍ إلى توقيعٍ وإلى ذِكرِ الاسمِ المعرِّف!

أقولُ وأُرَدِّدُ إنَّ الرَّسائلَ الأبويّةَ علّمتْني من قواعدِ النَّحوِ وأُسُسِ اللُّغةِ ضُعْفَ ما حَفِظتُه مِنَ المَبادئِ والأصول في خلالِ سنواتِ المدرسةِ كلِّها. وخشيتي، اليومَ، أنْ أكونَ قد أضَعْتُ تلكَ الأوراقَ المُبعثرةَ في خلالِ تَنَقُّلي الكثيرِ بين سكنٍ وآخرَ في مدينةِ غُربتي. وإنّي لا أجرؤ على التّفتيشِ عنها بمثابرةٍ في الصّناديقِ المكدَّسةِ أو في الأدراجِ المُوصَدةِ حيث يُحتَملُ نِيامُها. وكأنّي أتَفادى التّفتيشَ بإمعانٍ مَخافةَ ألاّ أجِدَها. وأُوثِرُ أن أظَلَّ مُعتصِماً بالشَّكّ، وبِحَبْلِ الأمَل.

❖ ❖ ❖

كانت خِلافاتُنا قليلةً، ولكنْ شديدةً ومُرّةً، إنْ تَقَعْ. لأنّني كنتُ مُطيعاً لِلإرادةِ الأبويَّة في شَيءٍ مِن خشيةٍ وإكبار. فإنْ أثُرْ، وَقد حَصَلَ ذلك مَرّتَينِ أو ثلاثَ مرّاتٍ، قُلْ إنّه لم يبقَ هناك مجالٌ للمُفارقة "بالّتي هي أَحْسَن". وإنَّهُ هوَ المسؤولُ عَن ذاك التّصعيدِ العَنيف، لا أنا. أقولُها بِصدْقٍ ومحبّة، وهُيام من بكاه عشرينَ سنةً. وما زال. مَعَ اعْترافي الدّائم بِفَضْلِه المُطلق. لكنّ الحقيقةَ هي أنَّ صاحبَ التّصعيدِ ومُسبِّبَ التّأزيم كان هو إيّاهُ. فطَبْعُه صَلْبٌ عَنيف؛ بَلْ "كَسّار"، إذا جازَ تَعريبُ مَعنى عبارةٍ فرنسيّةٍ مأثورة. فكيف يَرتضي، وهو الذي وَقَفَ في مُجابهةِ عَسْكرةِ الاحتلالِ والانتداب، وعارضَ مُلوكاً وَرؤساءَ، وتَصدَّى لحكّامٍ ومُتحكِّمين، أنْ يُذْعِنَ "لنَزْوَةِ" فتىً من عِياله! وفي الوقتِ نفسِه- وَهُنا مَبْعَثُ المُشكلةِ وَمفْقَسُ كهرُبائها- إنّه مُؤمنٌ بالحرّيّة، وبالحَقِّ في الرّأي، وبالكَرامةِ للجميع، فكيف يُنكِرُها على وَلَدِه؟

كان صارماً حَقّاً. لكنّه كانَ يَحتَفِظُ لي، وله، بخطِّ رَجْعة، إذ إنّه لا يَرفضُ تَوسّطَ والدةٍ أو عَمّة، بل يَقْبَلُ مشروعَ الحلِّ الذي تَعرضانه عليه. وإنّي، اليومَ، أُرجّحُ أنّه هو من كان وراءَ تلك الوِساطة، وضميرَها المُستتر.

مِن أعنفِ خلافاتِنا ذاك الذي حَصَلَ، إثر عَودتي من باريس، ذاتَ صيف، رافضاً مُتابعةَ درس المخطوطات والوثائق التّاريخيّة. وما كان والدي ليتَفَهَّمَ إمكانيّةَ ابتعادي عن عِلمِ التّأريخ وما إليه، ولا سيّما بعد أن قُدِّر لي دُخولُ أرفع مدرسةٍ لهذا التّعليم في السوربون، وفي أوروبا قاطبةً. والذي زادَ في غيظه رَغْبَتي في وُلوجِ العَمل الصّحافيّ. وقدِ امْتعَضَ وحَزِنَ لهذا الخيار "الأرْعَن"، لأنّه لم يَكُنْ يَثِقُ أيّامَئذٍ بجديّةِ العمل الصّحافيّ في ديارنا، ولا يرى رصانةً عِلميّةً لدى السَّوادِ الأكبرِ مِن صِحافيّينا. كما

في الطائرة بصحبة البطريرك المعوشي

لكنَّ الوالدَ، بالمُقابل، كانَ يَخُصُّني بتَمييزٍ مِنَ الآخرينَ. وغالباً ما يَصْحَبُني مَعه إلى احتِفالاتٍ اجتماعيّةٍ ونَدَواتٍ أدبيّة. وكنتُ دونَ الثامنةَ عَشْرَةَ عِندما أوكَلَ إليَّ قراءَةَ أحاديثَ لهُ في الإذاعة، بِحُجَّةِ أنّه مُتْعَبٌ، وَصَوْتُه خافِت. كما فرَضَني غيرَ مَرّة، لأُلقيَ خطبَه في حَفَلاتٍ تَكريميّة، بَعضُها في قَصرِ الأُونيسكو، حيثُ أكبرُ قاعةٍ للاحتفالِ في بيروت. والحجّةُ أنّه خارجَ لبنان، وأَنَّ نَجْلَه خيرُ سَفيرٍ في غيابه. لا أنسى تلك الاحتفالات. وأَذْكُرُ أنّ المتكلّمينَ "الآخَرينَ" فيها: قِمَمٌ لِلأدَبِ والشّعرِ في البلاد.

لَكنَّ والدي، إلى ذلك، ظَلَّ يُعامِلُني بِقَساوَةٍ وصَلابةٍ إلى أنْ دَفَعَني طالباً إلى باريس. وَقدِ اخْتارَ لي مدْرسةً مُتَقَعِّرةَ القلبِ والقالب، في جامعةِ السوربون، هي الوحيدةُ المُتخصِّصةُ في تَعليمِ مَبادئِ التّأريخ، وأصولِهِ ومُقوِّماته، مِن فِقْهِ اللّغةِ اللاّتينيّة، إلى أُسُسِ تحليلِ الوَثائقِ، وَفكِّ رُمُوزِها، وشَرْحِها، مع قواعدِ ترتيبِها في الإضباراتِ المُخصَّصة لحفظِ المخطوطاتِ التّاريخيّة والمطبوعاتِ الغابرة.

واتّفقَ أنْ يَتَصادَفَ سَفري إلى فرنسا مع سَفْرةٍ للوالدِ إلى إيطالية حيثُ كان يَتَردَّدُ كلَّ مدّةٍ باحثاً عَن وثائقَ تاريخيّةٍ فيها، تتّصلُ بلبنان، وخُصوصاً في "الفاتيكان"، في روما. سافَرْنا إذاً معاً، وجلستُ لأوّلِ مَرّةٍ في مَقْعدٍ مِن مَقاعدِ الدّرجةِ الأُولى في الطّائرة، إلى جانبه. ونزَلْنا في المدينةِ الخالدة، في فندقٍ بَشٍّ، حيثُ للتّرحيبِ شَدْوٌ يُشبِهُ التّغريدَ، ويَفوحُ في أرجائه عَبيرٌ، بَعْضُهُ شَذى بُخارِ قَهوَةِ بُنٍّ عابِق، وبَعضُه أنفاسُ فَطيرٍ ساخِن.

أَمضينا في كَنَفِ العاصمةِ الإيطاليّة ثلاثةَ أيّامٍ في شبهِ حُلُمٍ. وكانَ الوالدُ، في تلك الأونِيّة، القائدَ والمُرشِدَ والشارِحَ والدّليل:

"هُنا عاشَ السِّمعانيّ الكبير. وهُنا أقامَ الدّويهيّ. هذا السّورُ من بقايا المدرسةِ المارونيّةِ الشّهيرة. في هذا المطعمِ كان يتَغدّى بولس مَسعد (الراهب المغدور). هنا سكن أصدقاءُ الأمس وخصومُ الغد بولس المعوشي وعبدالله نجيم ومنصور عوّاد. في هذه الكلّيّة تعلَّم وعلَّم الخوري يوسف اسطْفان (عَبْقريّ الخطابة والسياسة حَبيب اسطفان)... وَقد تَواصَلَ الشَّرحُ والعَرْضُ نهارَ لَيل؛ حتّى أنّني، قُبيلَ سَفري بدقائقَ، وكانَ الوالدُ قد رافقني إلى محطّةِ الحديد مُودِّعاً، سألْتُه مُمازحاً: وهَلاّ عاشَ في روما رُومان؟ استَغْرَبَ السّؤالَ. وَربّما أبَى أنْ يَفْهَمَه. فاستَفْسرَ آملاً منّي تَدارُكاً. غيرَ أنّني تابَعْتُ قائلاً: أمضَينا بضعةَ أيّامٍ وليالٍ نَطوفُ في أثَرِ هذا وذاك مِن أَعلامِ اللُّبنانيّين، فهلاّ عَرفَتْ روما غيرَهم؟ أينَ يوليوس قَيصر وَشيشرون وفرجيل ونَيرون وَسواهُم؟ هَلِ امَّحى أثرُهم؟ فَنَظَر إليَّ شَذَراً، وأطبقَ شَفَتَيه لحظاتٍ خِلتُها دَهراً، ثمّ أجابني بصَوتٍ شبهِ مُختنق، وَهو هَمْسٌ يَلجأُ إليه أحياناً، كنتُ أهابُه لدَيهِ أكثرَ من نَبراتِه الحادّةِ من الانفعال، قال: يا ابني، ما عَرَّفتُكَ بِهِ، لا يعرفُه الكثيرون. وسوفَ يَزدادُون له جَهْلاً في المُستقبل. أمّا القيصرُ ونيرون والمعكَرونة وآل بورجيا فَتَسْتطيعُ مَعرفَةَ أخبارِهِم من أيِّ ابْنِ أُنثى!

ولم يَعد يَفوهُ بكلمةٍ حتّى انطلقَ بيَ القطار. وظلَّ والدي واقفاً في الرّصيف كأنّه لم يَسمعْ صَفّارةَ الرّحيل التي مزَّقَتْ يَومَها أذنيَّ، وما زالت تُمزِّقُ منّي الأحشاءَ إلى اليوم.

❖ ❖ ❖

حَظِيتُ من رسائلِ والدي إليَّ، في خلال سَنواتِ إقامتي في باريس، طالباً،

مصافحاً
الملك سعود بن عبد العزيز
ويبدو الرئيس صائب سلام

الصَّفحةِ الأُولى مِن صَحائِفه المَخطوطة: "الجذور التاريخيّة للحَربِ اللّبنانيّة". ولا أدري، لو عاشَ الوالِدُ وَوَقَفَ على طَبعِ الكِتاب، هَل كانَ أبقى على هذا العُنوانِ الذي يشكو من طُولِهِ، وإنْ يَتَحَلَّ بالوضُوح.

❖ ❖ ❖

عشنا في باريس في شقّةٍ عالية، في سَفْحِ هَضبةِ مونمارتر، هي من غرفتَين كبيرتَين ومطبخٍ أكبر وضعنا فيه طاولةَ طعامٍ فسيحةً، حيث كنتُ أدبّج مقالاتي ليلاً، بالرّغم من لومِ الوالدِ الذي يظلّ يُردّدُ بأنّ اللّيل للنّوم، وبأنّ العملَ يكونُ نهاراً.

كان يُفيقُ قبل الفجر شأنَ أكثرِ المُعمّرين، ويُعدُّ له كأسَ شاي ثمّ فنجانَ قهوة، ويعودُ ليستأنفَ قراءةَ كتابٍ بدأَها قبل النّوم. ويقتربُ من الطاولة ليرى ماذا أكتبُ. وغالباً ما كان يهزّ برأسه مُعبّراً عن رضاه، ولكنْ من دونِ إطراء. غير أنّه وجدَ له طريقةً لتشجيعي بمنأىً عن الثّناء، فيقولُ: ما كان أحسنَ هذا العملَ لو أنّك أنجزتَه نهاراً، وأنتَ في كاملِ وعيكِ. ثمّ إنّه يُنقّحُ كلمةً وينصحُ بتعديلِ فكرةٍ في المقالة، ويعودُ إلى سريرِه حيث تَحلو له القراءةُ، وأحياناً الكتابةُ، وهو مسرورٌ، وأنا مغمورٌ.

ويسألُني ماذا سأعدُّ لنا من مقبّلاتٍ للعشاءِ المقبل. وليس في السّؤال اهتمامٌ بالمأكل، بل فيه دعوةٌ موروبةٌ لعودتي إلى البيتِ قبل الليل، والامتناعِ عن اللّهو والدّلَجِ والسَّهرِ في المقاهي... إلى رغبتِه الأكيدة في عدمِ تناولِه العشاءَ وحيداً، ولا سيّما أنّه كان، في بعضِ الأحيان، يحبُّ أن "يأخذَ دمعة". وكان يُطلقُ على الكأس، متى كانت المقبّلاتُ والمازاتُ بسيطةً وخفيفة، تسميةَ "قبّوع". لكنّه ما لبث بعد فترةٍ أن تخلّى عن القبّوع ليشربَ مرّةً أو مرّتين في الأسبوع كأساً أصليّة. وهذا، بعد أن قرّرتِ الوالدةُ مغادرةَ لبنان، والانضمامَ إلينا في مرتعِنا الباريسيّ. فاستولتْ على المطبخ واستأثرتْ بالمنصبِ والمصبّ، فاستعاد الطّبيخُ مكانَته وتراجعتِ المقليّاتُ والمازاتُ القبّوعيّة.

... وتَواصلَ عيشُنا هانئاً هنيئاً، خصوصاً أنّه صار للبيتِ ربّة.

❖ ❖ ❖

كان الوالد مُعجباً بمعرفتي باريس، من أكبرِ شوارعِها وجادّاتِها إلى أصغرِ أزقّتِها. غير أنّه كان يسعى أحياناً إلى معاكستي آخذاً عليّ جهلَ أصلِ شارعٍ أو تاريخِ حيّ. وهو يعرفُ بعضاً من مستديراتِ المدينة معرفةً مُميّزة، وخصوصاً المستديرة الخامسة، عرين الحيِّ اللاتينيّ. ويسميّه، على غرار قُدامى أهاليه: "الحيّ"!، مُعتبراً أنّ إضافةَ النّسبةِ إلى هذا الاسمِ العريقِ لَغْوٌ وحَشْوٌ. – فلا تنسَ أنّ سلطاتِ الانتداب، في منتصفِ العشرينات، نَفته إلى باريس سنتين. فأقام في "الحيّ"، واغتنم الفرصةَ للالتحاقِ بمدرسةِ الصّحافة فيه. وقد عاد إلى لبنانَ هازئاً بالانتدابِ ووفيّاً به في آنٍ واحد. لأنّ "المستعمرين" الذين أبعدوه عن بلاده حيثُ كان مُعارضاً وثائراً، قدّموا له، ولم يدروا، نوعاً من منحةٍ دراسيّة. فكان من أوائلِ اللبنانيّين الذين درسوا الصّحافةَ في معهدٍ مختصٍّ بتعليمها. وبالرّغم من ذلك، لم يعتبرْ مهنةَ الجرائدِ، يوماً، هدفاً. بل وسيلةٌ لقولِ كلمتِه. وفي الغالب: باب رزق.

❖ ❖ ❖

رحل، وتعليمُه لمّا ينقطع. فمجلّداتُ مكتبتِنا الصّغيرة، في باريس، مُوَشّمةٌ، في أكثرها، بملاحظاتٍ مكتوبةٍ بالحبرِ الأحمرِ أو الأزرق، وأحياناً بالأخضر. وهي تصويبٌ أو تنقيحٌ أو تنبيهٌ، كان، في أثناء قراءته، يرقمُها على هوامشِ الصّفحات. وأكثرُ هذا التّعليقِ،

مع عاصي وفيروز

أنّـهُ لـم يُـسَـلِّـمْ بـأنَّ الأدَبَ حِـرْفـةٌ "تُـدرِكُ" الـمـتـأدِّبَ. فـغَـضِـبَ وثـار وراحَ يُـردِّدُ عـلـى مَسمعي بأنّه، نَفْسَهُ، عَمِلَ في الصّحافة شِبهَ مُضطرٍّ، ولكنّه ما لبثَ أنْ تَخلّى عن مهنة "الجورنالجيّة"، مُؤثراً، ومِنَ سِنينَ طويلة، الانصرافَ إلى البَحثِ والتّنقيبِ والتّأريخ. فَقاوَمْتُه مُصِرّاً على خياري، مُتذرِّعاً بحقّي في تَقرير مَصيري وفي انتِقاء السَّبيلِ إليه. وكانَ يَزيدُ في غَيظِهِ أنْ أَتَحَجّج بمبادئَ وحُقوقٍ سَمعْتُ أُسُسَها على لِسانه وتَعلّمْتُها منه، فصِرتُ أُرَدِّدُها عليه وأُحاربُه بسلاحه. لكنَّه عادَ فَسَلَّمَ. فَسَمَحَ، على مَضض، أنْ أَنخرطَ في عالم "الجورنالجيّة"، مع التّرديدِ، بين الفَين والفَين، بأنّني، على غِرار والدي وجَدّي، لن أكونَ صحافيّاً لامِعاً: "لأنّنا يا ابني، ما كُنّا لِنكسِرَ مزرابَ العَين فنَحظى بتصفيق العامّة. فنحنُ، إنْ نَرَ المِزرابَ مَكسوراً، نُصْلِحْهُ".

... واختار هو الصُّحفَ لأَتدرّجَ فيها. وهي لإخوانٍ لهُ وأَصدقاءَ يَثِقُ بمحبّتِهم لنا، على معرفته بقِصَرِ ذاتِ اليد لدى بَعضِهم: عفيف ووفيق الطِّيبي، فريد أبي شَهلا، وابن خالتِنا جورج أبو عَضل... وكان الوالدُ، على ما أَظُنُّ، يُقنِعُ أَربابَ عملي بعدم بَسْطِ الكَفِّ في دَفعِهم أُجوري، ثمّ يتظاهَرُ بالاستغرابِ لضَعْفِ معَاشاتي. لكنّني دَخَلتُ عالمَ الجرائد، فما ثَناني ضَعفُ راتبٍ، أو شحٌّ.

هُنا أيضاً كانَ ليَ المُرشِدَ والمعلِّم؛ وأكاد أُضيفُ: "على رُغمٍ مِنه"، لأنَّ اسميَ صارَ يُنْشَرُ ويَنتشِرُ. وهذا مَبْعَثُ قَلقٍ لَديه. لأنّني كنتُ أذيِّلُ كِتاباتي بتوقيعٍ كامل، أيْ بذكرِ اسمِ والدي بينَ اسمي والكُنْية، كما جَرى التّقليدُ في رُبوعِنا. وعندها، فأعداءُ الوالد- ومَـن ذا الـذي لا عَـدُوَّ لـه ولا خَـصْـمٌ أو حاسِدٌ؟- سيَشْمُتونَ بكتابةِ ابنِهِ إنْ جاءَتْ بضَعْفٍ. أمّا الآخرون، فكثيرونَ مِنهم يَقرأون بسرعة، ولا يُمْعِنون، حتّى أنَّ بَعضاً منهم يَقرأُ أَحياناً اسمَ الابنِ فَيظُنُّه توقيعَ الأب، ما دَفعَ بوالدي إلى متابعة مَقالاتي بمواظَبةٍ وحَذَر. ففي عالَمِ القَلم قد يأكُلُ الأَبناءُ الحُصْرُمَ والآباءُ يَضْرَسُون. أمّا مُتابَعَتُهُ كتاباتي، فَقَد بَدأَتْ صارِمَةً، يُرافِقُها نَقْدٌ وتَصحيح. ولا أُنكِرُ أنَّ بعضَ مقالاتي قُوبِلَ برضى. وأحياناً باستِحْسان. وخصوصاً ما كنتُ أكتُبُهُ في ذِكرِ أديبٍ أوْ مُؤرِّخ أو سياسيّ مِمَّن أَحبَّهم. حتّى مقالاتي بالفرنسيّة لم تَكُنْ تنجو مِن نقدِه. وكانَ يأْخُذُ عليَّ، أحياناً، خِفَّةً أو هَزْلاً في كلامٍ على أدباءَ أو أعيانٍ. ويُعاتِبُني مُرَدِّداً أنَّ ذِهنيَّةَ قُرّائنا تَختلِفُ عن نَفسيَّةِ الغَربيّين. وبالتّالي لا يَجوزُ اتِّباعُ النَمَطِ المُستَهتِر، المُعَربِد، وإنْ يلجأْ إليهِ صِحافيّون فَرَنجة.

❖ ❖ ❖

إقامتي

الثانية في باريس، حيث سَكَنْتُ مَعه زُهاءَ خَمْسةِ أعوامٍ كانتْ بالنّسبة إليَّ صُنوَ مِسكٍ ختام. فخلافاً للأُولى، سابقَتِها ببضْعَ عَشْرةَ سنةً إذ كنتُ طالباً، عِشتُ هذه المرّةَ في كَنَفِه، وتَحْتَ جَناحِه مُباشَرةً. وكانَ الإخاءُ الصَّحيحُ قد نَفَضَ الغُبارَ الذي لَبَّد يوماً سَماءَ الأبِ وابنِه. وقَد واصل مُتابعَة كتاباتي ومُراسَلاتي الأسبوعيّةِ العربيّةِ والفَرنسيّة. غير أنّ النَّقدَ اللازمَ بَدأَ يُوشّحُ بالتَّقدير. وإنْ تَراجَعَ التَّصحيحُ والتَّصويبُ فقد استمرّ الإرشادُ والتَّوجيه. وأنا مَسرورٌ، وإنْ أُبْدِ أحياناً علاماتِ احتِجاج. كانَ آنذاك، إضافةً إلى عملِه في مجلّة المُسْتَقْبَل (رَحِمَ اللهُ نَبيل خوري)، يُعِدُّ المؤلَّفين: أَوَّلُهما "الجواد العَربيّ"، وقد صَدَرَ إثْرَ وَفاتِه بأسابيعَ، وبَعْدَ أن أَشْرَفَ على إعادة تصحيح مُسَوَّداته المَطْبَعيّة كامِلةً. أمّا المؤلَّفُ الآخر، فَهُوَ بَحْثٌ في جُذُور الغَرَضِيّاتِ والصِّراعاتِ اللّبنانيّة، تلك الرَّواسِبِ المتأَصِّلَةِ في النفوس والتي استُخْدِمَتْ وَقُوداً لتأجيج النّار التي أُشْعِلَتْ في لبنان. وقد بقيَ هذا المُؤلَّفُ أوراقاً مَخطُوطةً سنواتٍ، ثمّ جَمَعتُها بمُساعدةِ والِدتي ونشرتُها في كتابٍ صَدَرَ بعدَ عَشْرِ سَنواتٍ من رَحيلِ مؤلِّفِه. وَقد تَرَكْتُ له عُنوانَه كاملاً، بل بحذافيره، كما وَرَد في صَدْرِ

يوم مع جدّي

فيفيان يوسف نعيمة
دكتورة في العلوم الاقتصاديّة
جامعة سيّدة اللويزة

الزمن الذي قُدّر لنا أن نكون معه فيه، زمنٌ مبارك يشبه الكنائس في الجبال القصيّة.

في فصل الصيف، وعندما كانت العائلة تنضوي كلُّها تحت سقف البيت في الضيعة[1]، كنّا نحن الصغارَ، وحتّى عمر مراهقتنا، نحرص أشدّ الحرص على تأمينَ أكبر قدر من الهدوء، أقلّه، قبل أن يفيقَ "جدّو ميشا"[2] من نومه.

عند العاشرة والنصف أو الحادية عشرة صباحًا كان يفيق من النوم: صرير باب غرفته، وبعد هنيهة، شحطة كندرة نومه على أرض البيت، أكاد الآنَ أسمعُ موسيقاها وكأنّها تجري في عروقي.

فظيعة هي ذاكرة الطفولة، الغبار لا يجد سبيلاً إلى صورها، هذه الصور التي تقفز بسرعة ووضوح وصدق إلى مسرح لحظتنا الآنيّة، فتستحيل جزءًا من حاضر يفصله عنها فيضٌ من السنين.

Good morning جدّو، نقولها بالانكليزيّة. عوّدنا عليها. إنّها خاصّة به.

بعد حوالَى نصف ساعة، ومع عطره الذي تتقطّع أنفاسي حتى اللحظة عند محاولة تنشّقه، كنت أرقبه، في الجهة الغربيّة من طاولة مستطيلة في المطبخ، يتناول فطوره.

في صحن صغير، أربع قطع من "التوست" المحمّص، عليها قليل من الزبدة والعسل، وفي صحن صغير آخر حبّة "غريب فروت"، مشطورة من الوسط إلى قسمين متساويين بحيث يبدو اللبّ إلى أعلى والقشرة إلى أسفل.

لذّة فائقة أن تراقب هذا الجليل يتناول فطوره.

يأخذ قطعة صغيرة من التوست، يمضغها بصمت وهدوء وتمهّل. وبعدها يتناول قطعة صغيرة من حبّة "الغريب فروت".

وهكذا إلى أن ينتهي.

في كثير من المرّات، لم يكن ليكمل هذا الفطور، رغم ضآلته.

"جدّو ميشا"، لم يكن إنساناً شرهًا.

بعد الفطور، كنّا نعرف أنّه سيدخل إلى الدار- أو الصالون - للقراءة. كنّا نتبعه إلى الداخل، نحكيه نمازحه، يحكينا يمازحنا،

١- بيت ميخائيل نعيمة في بسكنتا.
٢- الاسمُ الذي كان أحفادُه ينادونه به (أولاد أبناء أخيه نجيب).

مع الرئيس شارل حلو
في باريس

في نظري، توجيهٌ، وأحياناً تحذيرٌ للّذين سيعودون إلى هذه المطبوعات من بَعدِه. وبالأخصّ إليّ. لأنّه قد ائتمنني على هذا العقارِ المطبوع، وألقى بصحائفِه ومجلّداتِه بين يديّ إرثاً، بل وقفٌ، ما يدفعُني للقول إنّ تعليمَه الذي أثمرَ في رسائله إليّ يومَ كنتُ طالباً في باريس منذ عقودِ السّنين، ما زال مستمرّاً، متواصلاً، اليومَ، وكأنّه أُعدَّ للقطافِ في موسمٍ رجعيّ.

تعليمُه الشّفهيُّ نفسُه ما زال قائماً؟ وسأذكرُ في ذلك ظاهرةً قد تثيرُ ابتسامَ المُشكّكين، ولكنّها تذهبُ بي كلَّ مذهبٍ.

فكم ليلةٍ أويتُ إلى فراشي، وفي نفسي مسألةٌ أو معضلةٌ أو مشكلةٌ تثيرُ قلقي ويَشغلُني عجزي عن معالجتِها وحلّها. وكم اتّفقَ أنْ أراه في الحلمِ وقد أطلَّ عليَّ ساخراً، مُداعباً، قائلاً: وهل نسيتَ، يا مغفّل، أنّ هذه المسألةَ تُعالَج بكذا؟ وهل فاتكَ، يا باش عبقريّ، أنّ معالجةَ هذا الأمرِ طريقتُها كذا؟ فلمَ لا تفتّشُ عن ضالّتِك في كتاب (...)؟

وفي غدٍ، كم ممّا سمعتُه في المنام "فَسَّرَ" وأَرشدَ ونَفعَ. أقولُها وأشهدُ أنّني لستُ من المؤمنين بالغيب، ولا من المصدّقين بصحّةِ الأحلام. لكنّني أرجّحُ أنّها الذّاكرةُ تتفجّرُ أحياناً إبّانَ راحةِ الجسم، وأنّ التّعليمَ الذي محا بعضَه النّهارُ يستعيدُه اللّيلُ.

❖ ❖ ❖

هذا بعضٌ ممّا قد أقولُه على وجوه علاقتي بوالدي؛ وإنّه حَبّةٌ من قُبّة. فلو أَطلقتُ لذاكرتي العنانَ لكتبتُ الأسفارَ. لأنّ أيّامي، في كنفِه، على بساطةِ مظهرِها، فَريدةُ الأشياءِ. وقد تحوّلتْ صلتُنا مع السّنين، من قاسيةٍ مُشنّجةٍ إلى سَمْحةٍ ليّنة. وتبدّلتْ رهبةُ الأبّوةِ فأصبحتْ ألفةً مؤنسة. فبتنا، في آخرِ عهدِنا، أخوَين لا يفرّقُ بينهما إلاّ العمرُ، ولا يتميّزُ واحدُهما من الآخرِ إلاّ بمعرفتِه الجمّة وخبرتِه الواسعةِ وتاريخِه الحافل، مع ما يفرضُه الولاءُ من إكبارٍ للأكبر. ولا أعتقدُ أنّ عاملَ العمرِ نفسَه كان خطيرَ الشّأنِ في المفارقةِ، إذ إنّ الوالدَ كان، في غيرِ مجالٍ، يبدو متمتّعاً بفتوّةٍ وحيويّةٍ قد تخالُهما حكراً على الشّباب.

وقد يكونُ هذا الوجُه فيه هو الذي أَفتقدُه الآنَ، أكثرَ من أيِّ وقتٍ مضى، فيه. وهو وجهُ الأخِ الصّديقِ في قلبِ الأبِ العطوف. ولم أرَ لهذا القلبِ وهذا الوجهِ أشباهاً كثيرةً من حولي.

وسأبوحُ هنا بما يخالجُني أحياناً فيما أسائلُ نفسي هلاّ كانت تلك الأبوّةُ المؤاخيةُ سبباً من أسبابِ عزوفي عن الزّواجِ والإنجاب... لتعذّرِ الاقتداء!

أقولُ ذلك مع يقيني بأنّه لو كان له أن يسمعَه، هو، لنبذَه واستنكر، ولا سيّما أنّه كان يحلمُ في أنْ يرى لي عَقِباً، ابناً يحملُ اسمَه. وقد خلع عليّ الكنيةَ اللاّزمة منذ طفولتي وصباي اليافع، وقد يطربُ في مُناداتي بها: "أَبو يوسف".

رفيف الذاكرة

د. منصور عيد

وتسألني بتدّين الحبيبة في وجه ولديّ وفي وجوه العشرات من الأولاد يتنقّلون على الدروب، وينطرحون في الأفياء ويثرثرون في الزوايا، وتدمى أرجلهم من حجارة ناتئة في حيطان الجلول، وتتمزّق ثيابهم من جذع علّيقة يعترض غيبوبتهم في الممرّات الضيقة.

وتسألني حبيبة الطفولة: ماذا بقي منّي في أوراقك وكلماتك وعلى رفوفك المغبّرة من تراكم الزمن؟

رفيف الذاكرة

ويتوقّف الزمن وتتجمّد الحياة ويهدأ هديرها الصاخب على الطرقات والأرصفة وفي الأحياء والمعابر ومفارق الطرق. وترتسم حدود في العمر لا تعرف الرؤية مداها، فهي من الأحلام تعبر خلف الأماكن إلى ما وراء المدى. فشروق الشمس غربة الطفولة عن الديار إلى أبعاد تطول وتتّسع، ما دام العمر لهواً وفراغاً، وما دامت الأفياء تحمي من لسعات اللهيب، وما دامت ينابيع "النعصة" و "الخلّة" و "النقبة" و "الكروم" تنفر من بواطن الأرض ومن شقوق الصخور الرمليّة، وما دامت رفرفات الجوانح تتحدّى أحلام الشباب والرجولة، وأنت تثير فضول الناس ببندقيّة صيد قديمة، تحشوها بنفسك، لتطلق مع حبّات "الخردق" رقعاً من ورقة جريدة عتيقة تلتصق بالجذوع والأغصان، وتمزّق الأوراق، وتنقر أكواز التين وحبّات العنب، قبل أن يسقط العصفور الضحيّة، المضمّخة دماؤه بحلاوات الكروم.

وتكتفي من قوت نهارك برغيف خبز ابتلّ جوفه من "كعزولة" لبنة، وجفّت أطرافه من هواء عليل يهبّ عليك وأنت تقفز في الممرّات المتعرّجة، أو تجرّ نفسك تحت جذوع علّيقة تخطّط أشواكها على أطرافك بصمات الجريمة التي ارتكبتها قبل أن تلامس أصابعك الضحيّة المرتجفة.

ويشتدّ لهب جوفك؛ "فمشكاك" العصافير قد امتلأت حلقاته الصغيرة بالرؤوس الصغيرة: "أبو الحنّ" و "أبو الويل" و "الخوري" و "الشمّاس" و "الدعويقة" و "البوبليق". وحرارة الصيف قد امتصّت عرق جسدك، فجفّ حلقك، وعجز ريقك عن ترطيب حنجرتك، ولم يبق أمامك سوى النبع. ولأنّك أنجزت مهمّة نهارك، تسأل نفسك بغرور وكبرياء: أيّ نبع يروي أكثر ويشفي الغليل؟ وتنساب في مخيّلتك صورة المياه المفأفئة من قلب الصخر الرمليّ، والمختالة في مجراها، تتهادى هنا، وتنزلق هناك، وتتراقص بغنج ودلال إذا صدمها حجر ناتئ، ففي رقّتها ولينها قوّة تتحدّى قساوة الصخور، وتغريك برودتها فتستطيب المذاق وأنت على بعد، وما أقصر المسافات! فما زالت دقائق الزمن ملك عزيمتك، وملك مزاج الولدنة واندفاعة الشباب، وبينك والماء محطّات ومحطّات، ترسمها الأضواء والأفياء في جنبات الأماكن كلّها.

هنا وهج وهّاج، ولهيب ينعكس على التراب ليصدم وجهك وعينيك، وهناك ظلال متقطّعة ترتفع فوقها الأغصان بكبرياء وشموخ، فينساب الضوء متحدّياً عجرفتها، وهي لا تأبه به. وهناك انحناءات متواضعة تحضن الزوايا بظلال عميقة حتّى الظلمة الخضراء، فيرتدّ عنها النور بخجل وحياء، كمن يسجد في هيكل الآلهة. وفي هذه الهياكل ترشف خمرة يومك فتسجد على ركبتيك وتحني ظهرك وتمدّ راحتيك إلى الجورة حيث تدور المياه دورتها قبل أن تنزلق، وتغرف، وتعبّ الماء عبّاً، تاركاً بعضه يرطّب ذقنك وصدرك لتنال متعتين: متعة تبريد جوفك، ومتعة تبريد جسدك. وكأنّ الخمرة قد أسكرتك، فخدر البرودة ينساب في عروقك حتّى الاغفاء. وتنسى حكايات قد أقلقت طفولتك عن حيّة سوداء معمّرة، تستوطن العلّيقة الكبيرة قرب النبع. وطالما رددت أنشودتها وأنت تهرول في طرقات الوزّال ومنعرجاتها: "حدّ العقرب لا تقرب، وحدّ الحيّة فروش ونام".

وتنام متحدّياً العقارب والأفاعي، بل تتحدّى عقارب الزمن التي تدور دورتها ثوانيَ ودقائق. وتنهض من القيلولة إلى مشوار ما زال طويلاً، فما بقي من عمر الشمس يكفيك للقيام بجولات في الساحات، تثرثر فيها، وتحدّث عن مغامراتك اليوميّة بين الحقول، وتذكر عدد ضحاياك وأنت تنتشي بمتعة التحدّي التي ترتسم تعجّباً وإعجاباً بمهارتك في الصيد الوفير. وكأنّك قد بلغت ذروة السعادة التي سعيت وراءها طوال نهارك. ولم تبق إلاّ ساعات من الليل، بعضها مقمر، وبعضها غارق في ظلمة وسكون. وفي الحالتين، فأنت في الطرقات، ونسائم الليل وأحاديث السمر على موعد. تسهر وكأنّك والزمن على خصام، تتغلّب عليه في ساعات الأضواء والحركة والنشاط، ويغلبك في ساعات التعب والظلمات، عندما ينهك جسدك ولا سبيل لك إلاّ الراحة.

ومواعيد العتمات يقظات في الوجدان، وانقشاع لضباب السنين، وقلم يخطّ على الورق رفيف الذاكرة، ويرسم صورة بتدّين اللّقش الحبيبة في وجهي ولديّ، بل في وجوه العشرات من الأولاد، فأبحث بينهم عن ولد أضاع نفسه في هذه الأمكنة، وها هو يعود إليها متلمساً البصمات والحروف، ململماً أجزاء تَفتّتتْ في كلّ حبّة تراب، وقطرة ماء ونسمة هواء.

يسمع أخبارنا، نقرأ له "محاولاتنا" الكتابيّة، "يفتخر"، و"يعتزّ" بنا... إلى أن نهدأ، فيحلّ الصمت، فنعرف أنّ وقتنا قد انتهى معه.

نخرج إلى عالمنا، ويبقى مع كتابه.

في سنواته الأخيرة ما كان يطالع إلاّ كتبَه ومؤلّفاتِه؛ ما إن يفرغ من كتاب حتّى يبدأ بالآخر. إنّه الفكر أمام المرآة. إنّها الذات في رفقة مع ذاتها.

لعلّ من أحبّ الأوقات إلى قلبي، كان الوقتُ الذي يسبق الغروب بحوالى ساعة واحدة.

في كلّ يوم، وفي مثل هذا الوقت، كان أبي – أو أحد من أفراد العائلة الذي يحسن قيادة السيّارة – يقلّ "جدّو ميشا" في "مشوار"، مع من يرغب من أفراد العائلة.

كنت دائمًا الرفيقة الأمينة في هذه المشاوير. والمشوار كان غالبًا في الجبال، إلى عيون السيمان، إلى نبع اللبن، إلى صنّين والشخروب...

السيّارة مكان دافئ صغير لأربعةٍ أو خمسة من أفراد العائلة يمضون حوالى ساعةٍ من الزمن في التمتّع بمناظر الطبيعة من حولهم، وبما يتبادلونه من حكايات وأخبار.

كان يلذّ لـ"جدّو ميشا" أن يشرب من أحد الينابيع في طريقنا؛ وما أكثرها، وما أعذبها!

في السيّارة يوجد دائمًا كوب من البلاستيك.

أنزل من السيّارة، أملأ الكوب وأناوله إيّاه. يشربه بلذّة فائقة، ونعود أدراجنا إلى البيت.

أوَتدرين يا ابنتي أنّ مياه هذا النبع قد انفصلت عن البحر في يوم من الأيّام، وهي الآن في طريقها إليه؟

وهذه القطرات التي أشربها، هي أيضًا انفصلت عن البحر، وبدورها سترجع إليه لتعود فتذوب فيه فيصيران واحدًا.

ونحن يا ابنتي كهذه القطرات تمامًا، انفصلنا عن بحر الوجود الأعظم، عن الله. ومهما امتدّت بنا الغربة، ومهما طال الطريق، فنحن إليه عائدون.

وينتهي "جدّو ميشا" من كلامه، فأحاول أن أفهم كلّ مراميه ومعانيه، فلا أنجح.

نصل إلى البيت، فيصعد الدرج المؤدّي إليه على مهل، يجتاز الممشى الطويل أمامه فيصل إلى أريكة يرتاح عليها ووجهه نحو صنّين.

عند المساء، نسهر معه في غرفة الجلوس (أو غرفة الشتاء)، يحبّ لعبة الباصرة، نلعب معه الباصرة.

نتمنّى له نومًا هنيئًا ونقبّله ونأوي إلى غرفنا.

"جدّو ميشا" ينام متأخّرًا جدًّا، ربّما بعد منتصف الليل.

في اليوم التالي، ننتظر صرير باب غرفته وشحطة كندرة نومه على أرض البيت. وننتظر رائحة عطره أيضًا...

"جدّو ميشا"، وإن فاتني الكثير من معانيك ومراميك أيّام كنت مراهقة لم أبلغ الثامنة عشرة من عمري، فهذا لا يعني أنّني اليوم ما زلت حيث كنت.

قرأت وأقرأ كتبك ربّما للمرّة العشرين. في سيّارتي كتب لك أقرأ فيها عندما يتوقّف السير. وفي مكتبي في الجامعة كتب لك ألجأ إليها في ساعات حزني. وقرب سريري كتاب لك أغمض عينيّ عليه قبل أن أنام.

معانيك ومراميك أصبحت معانِيَّ ومرامِيّ، وطريقك أصبح طريقي،

ونحن، وإن امتدّت غربتنا، سنعود فنلتقي جميعًا في بحرك الأعظم– في بحرِيَ الأعظم.

أيّها الحبيب، أنا لست أشتاقك ولا أنا أرنو إليك. "فأنت حيّ في وجداني كما أنك حيّ في وجدان البقاء".

تلتقيهم..

لسانهم عدوّ لعقولهم

الأب بطرس بوناصيف ر.م.م.

تلتقيهم.. في مجتمعك فيدهشونك. يظهرون عاديين، رصينين، مفكّرين، وأحياناً عظماء... يدهشك مظهرهم، تغشّك قشورهم، لأنّهم يبدون على ما تحلم وتتمنّى... ولكنْ، إذا قرّرت خوض الحديث معهم، فاجأك ما هم عليه من جهل وقلّة. كلامهم رنّان يطنّ إلى البعيد البعيد، يذكّرك بالطبول الكبيرة: صوتها ابن فراغها، وضجّتها صدىً لما لا تنطوي عليه... وما يثير استغرابك أكثر هو أنّهم يفتقرون إلى اتصال العقل باللسان، فكلامهم ابن لسانهم، وعدوّ لعقولهم... ولا أدري ما سبب هذا التباعد بين العقل واللسان! ربّما لأنّ العقل قرّر أن لا يتعاطى مع اللسان أبداً لأنّه يخونه باستمرار، أو أنّ اللسان أطال قفزته مرّة، وتبجّح بقدراته، فظنّ أنّه يستطيع أن يكون حرّاً من دون العقل، وهذا طبعاً من أسمى صفات الجنون، فابتعد إلى الأبد عن سيّد، إذا غاب، حَزِنَ المنطقُ، ودُفِنَ الصّدق... وفي كلّ حال، هذه الأمور نجهلها لأنّها خاصّة بأصحابها...

يتكلّم! ومن المفترض أن يكون الكلام الذي يحمله الصوت إليك، قد مرّ بالعقل أوّلاً... ولكن، بسبب التباعد الذي ذكرنا بين المنطق والتعبير، تقفز الكلمة من مصدرها المجهول، المتعامل مع أقبية العقل النتنة، مباشرة إلى اللسان، فتخرج متهاوية إليك من دون أن تمرّ بمنظّمها ومربّيها ومعلّمها وصاقلها: (العقل)؛ فيصلك الكلام فجأة، على عجلة من أمره، فتحاول قبوله، ولكنّك تفاجأ بأنّ هذا الكلام لم يمرّ بالعقل أوّلاً، فتُضطرّ إلى تحويله صوب طريق هيكل الحكمة في رأسك لتعيد صياغته، ولكنّ عقلك يمجّ الفكرة التي استقبلتَها ضيفةً في صرحٍ لم يعتدِ الغرباء ضيوفاً، ويتنكّر ما لم يمرّ على عقلٍ مسبقاً، فيشعر بإحراج، وبنتانة الفكرة التي دخلت إليه من خلال كلمات رنّانة، كرائحة كريهة، مقدّمةً في أرقى حافظات العطور جودةً في العالم، فتنفر ويضطر لسانك إلى إعادة ما جاءك من دون حكمة إلى مصدره... محاولاً ألاّ تعبّر بالطريقة نفسها، لأنّ من شتم شاتماً أصبح مثله؛ وفي هذه الحال لا تتعجب، لا تحزن، لا تيأس، بل افرح لأنّ كلّ هذا إنّما هو «غيمة صيف، تمرّ» فلا تترك لا خيراً ولا بركة، لا حزناً ولا ملالاً، لأنّها من دون جذور، ومن دون ثمار.

لهم آذان ولا يسمعون

الآذان هي سادةٌ لقراراتٍ تنبع من فكرٍ متناغمٍ مع عاطفة.. وهي بالمبدأ تنقل الفكرة الآتية من الآخر إلى الكيان، لأنّ الفكرة لا يتعاطى معها العقل فقط، إنّما العواطفُ وأبعادُ الإنسانِ كلُّها... ولكنْ، عندما تصبح الآذان شكلاً، فتتصلّب وترفض إشراك العقل والقلب في كلّ أسرارها، عندها يعمل العقل والعاطفة منفصلين انفصالاً عدائيّاً، فيتخاصمان، لأنّ الفكرة لم تصلهما واضحة من خلال الأذنين، فيُفهمُ ما لم يُقَلْ، وتَصدر ردّةُ الفعل خلافاً لما يُظنُّ بأنّه واقع... فعندها يؤخذ على الآذنين بأنّهما صرح فارغ كلّما كلّمته ردّ صوتك وفكرك إليك، فلا يقبل منك شيئاً، ولا يعيد إليك سوى ذاتك، وبهذا يظهر «المبدأ» جليّاً: مَن لم يسمع باثنتين لن يستطيع أن يفهم بأربع وعشرين. النتيجة هي هي...

من حقّ الإنسان أن لا يفهم، ولكنْ ليس من حقّه أن يفهمَ ما لم يُقَلْ. من حقّ الإنسان أن يستفسر، ولكنْ من واجبه أن يصغي. من حقّ الإنسان أن لا يقبل الفكرة الداخلة إلى كيانه من خلال أذنيه، ولكنْ من واجبه أن يحترم الفكرة الآتية، وبذلك يحترم مصدرها، لأنّ قلّة الأدب تكمن أحياناً في مبدأ عدم الإصغاء والفهم...

من أصعب أمور الحياة، أن يكون الفهم كُوّن قبل السّماع، فيسمع المرء ما لم يُقَلْ إلاّ في كيانه المجبول بالجهل والأنانيّة، فتُصدر الكلماتُ الواردة إلى دماغه أصواتاً؛ ومن قال أنّه علينا أن نستمتع بضجّة محرّكات كهربائيّة مثلاً!؟ في هذه الحال، يكون الحكم المسبق هو السيّد، والكلمات جواري في عالم الضجّة، ليس أكثر. وفي هذه الحال أيضاً لا تلتقي أناساً، إنّما عبيداً لأفكار راودتهم، أو تعلّموها من مدرسة الحكم التي تقف عند الظاهر وترفض أن تدخل إلى الباطن، وهي أمّ المدارس في عالمنا: فثياب جميلة أفضل من فكر جميل، وسيّارة جديدة أفضل من روح نظيف، وكلام طنّان أفضل من صمت حنون، ومراكز عالية أفضل من خدمات خفيّة، وكذب مساوم أفضل من صدق وحقيقة...

فيا صديقي، حاول أن لا تكون ممّن يسمعون ولا يفهمون، وينظرون فلا يرون.

لا يميّزون بين الكبير والصغير

وماذا لو كنتُ محتاجاً يا بونا م...؟

أنور صابر

في ١ آب ٢٠٠١، حطّ بي الرحال في إهدن.
وكان الأب بطرس طربيه، رئيس جامعة سيّدة اللويزة، كلّفني بوضع عمل موسوعيّ عن كنائس العذراء في لبنان، فبدأت وصدر الجزء الأوّل عن منطقة عكّار...
وبالانتقال للعمل في الجزء الثاني، والذي ينبغي أن يشمل أقضية طرابلس والمنيه- الضنّيه وزغرتا- الزاوية، وصلت إلى إهدن الجميلة...
ومن جملة كنائس إهدن، كنيسة قديمة للعذراء تقع في دير القدّيسين سركيس وباخوس، التابع حاليّاً للرهبانيّة الأنطونيّة المارونيّة.
أبكرت إلى مار سركيس وطرقت الباب.
استقبلني الأب المؤرّخ يوحنّا صادر بابتسامة عريضة. وعندما علم بمقصدي بشّ أكثر...
قهوة، سيكاره، كلام جميل، ومعلومات قيّمة جاد بها هذا الكاهن العالِم الفاضل، صاحب المؤلّفات التاريخيّة الجبّارة.
ودار الحديث، طبعاً، عن المقام الذي نحن بصدده، فتكلّم أبونا صادر وأجاد، وأراني كلّ المعالم، ثمّ قال لي: على كلّ حال، إنّ المعلومات التي تحتاجها دوّنها الأب م... في كتاب واضح وغنيّ حول الموضوع...
- والله؟!
- وبإمكانك الاعتماد عليه.
- وأين أجد ذلك الكتاب؟
- إنّ الأب م... هو المسؤول، حاليّاً، على مدرسة ك...
- عظيم! ك... قريبة. وهل يكون الأب م... هناك الآن؟
- بالتأكيد.
وانتهى حديثي مع الأب صادر، وشكرته، وغادرت إهدن توّاً إلى ك...
استقبلني على المدخل بوّابٌ مُنذهل.
- هل أستطيع مقابلة الأب م...؟
- مين بقلّو؟
- هو لا يعرفني. اسمي أنور صابر.
"شقلني" البوّاب بنظرة فاحصة متأنّية، وأمسك بالهاتف وتكلّم.
وفي تلك اللحظة انتبهتُ إلى أنّ شكلي ليس أنيقاً.
فأنا، بمقتضى الترحال، أرتدي دائماً بنطال جينز، مع قميص رياضيّة وحذاء مغبّر. وزدْ أنّ سحنتي لا تمتّ بصِلة إلى بيرس بروسنن أو جورج قرداحي.
ولكن، ما همّ!
طال كلام البوّاب على الهاتف. وكان يتكلّم ويزلق نظره نحوي، ثمّ يهزّ رأسه صعوداً ونزولاً...
وها هو يقفل الخطّ ويتوجّه صوبي:
- الأب م... مش هون!
- ؟؟
- وقلّي الأبونا "اللي معو"، تا تروح لعند المطران.
- المطران؟ أيا مطران؟
- المطران! مطران أبرشيّة طرابلس...
- وشو خصّ المطران؟
- والله هيك قلّي. قال تا تروح لعند المطران.
لم أستوعب.
- يا عزيزي، أنا طلبت شوف أبونا م...، ولا علاقة لي بالمطران.
- وأنا عم قلّك شو قلّي الأبونا: روح شوف المطران...
ودخل البوّاب إلى حجرته وأقفل الباب.
وقفتُ كالمصعوق.
ما القصة؟
وفجأة لمعت برأسي الإجابة:
إنّ مطران طرابلس، يوحنّا فؤاد الحاج، هو رئيس كاريتاس لبنان، والبوّاب رأى شكلي المُزري، ويبدو أنّ الأب م... سأله: كيف شكلو؟ فأجابه البوّاب: مش ولا بدّ؛ فقرّرا أنّني شحّاذ، جئت أستعطي من "البحر كَرْكَرْ"، فجيّراني إلى المسؤول المباشر، المطران...
تبسّمت، مقهوراً، ورجعت إلى سيّارتي.
وعلى انعكاس الزجاج رأيتُ قيافتي، فتذكّرت فيلسوف الفريكه، أمين الريحاني، عندما نظر إلى شكله في مرآة كازينو صوفر، وقال في نفسه: "إنّك حقّاً شيء مفزع..."
بلعتُها ومشيت.
بسيطة.
ولكن، في الطريق، قلت في نفسي:
أنا... قد أستوعب ما حصل. ولكن، يا بونا م...، ماذا لو وقف، فعلاً، ببابك، فقير محتاج! وماذا سيدور في أعماقه المقهورة، عندما يسمع جوابك؟
وهل صعبٌ جدّاً عليك إهدار دقيقتين من وقتك لتطيّب خاطره على الأقلّ، أو لتقول له: اذهب إلى المطران وهو يهتمّ بك، وأنا سأكلّمه في الموضوع...؟
أم انّك تعتبر نفسك قد أدّيت قسطك للعلى، بتآليفك ومواهبك، ولستَ مجبراً على النظر إلى إخوتك هؤلاء الصغار؟
"باطل الأباطيل" يا بونا م...! ويسوع المسيح تعاطى مع الإنسان، لا مع الحبر والورق.

نور سلمان في «فجرٌ للغضب»

تقولُ لنا... تقولُ عنّا

جــــورج مغــامس

أزعمُ أنْ لو لم يكنِ الحبُّ هو هي، وما هي كلمتُها، لَما وشَمتْ بأَرَجِ نبْضها جبينَ اندياحاتِ وجدانها: **فجرٌ للغضب**، بـ : يا ليتَ حبّي لكم يكفي!

أقولُ: حبُّها.. كلمتُها.. ذيّاك الوجدانُ الشّعشعانُ، فاللّحنُ قصيدةً في قُمُطِ الدّفء، تَهادى على بيان السّحر من فيض حدائقها أو الأحداق..

ثمّ لأَنتَ لا تدري من أيِّ عنوانٍ تأتي إلى الأنتاها؛ لكأنّها، ولا دليلُ في بدايةٍ أو نهاية، تريدُك– وهي إلْفُ المختلِف_ أن ترى إلى كلِّك بكلِّه،... وإنّا لَنراها العَمارةَ، أركانُها: اللهُ، وأرضُنا، والأمينون أسيادُ البذارِ لا عبيدُ الثّمار،.. تَنهضُ إصبعاً على جراح الورد في فضاءٍ من الحبّ، هو وحدَه يعزّي أو يشفي ويبني! وله سَواءُ السّبيلِ في احتفالٍ من الجمال، تَناهى فوحُه أو بوحُه إلى غاباتنا العذراء، وأشعلَ الشّعريّةَ في حناجرِ عصافيرها: صلاةً، وحكايةً، وفِكَراً في الآمال والآلام وفي الأحلام والأوهام..

وإنّها، وهي المسكونةُ بتفاصيلنا، هي المتجرّدةُ من أيِّ تفصيل.. تَساقَطُ الكثيفَ اللطيفَ، يَنفي ما عداه وعاداه، تضيءُ سماواتٍ ببروق..

فالكلمةُ ليست، ولا العبارةُ، ولا النّصُّ، إلاّ لزومُ ما يَلزم، لتبليغِ الرّسالة. أمّا التّرهّلُ فبغيضٌ. وليس أحبَّ من أناقةٍ ورشاقة. ليس أشهى من حِرَفَنِيَّاتِ مَناويلَ ومطرِّزاتٍ، حيث المَشاهدُ أيقوناتٌ فذخائرُ جيلاً إلى جيل..

بلى. أنتَ في حِرَفَنِيَّةِ الأرقى في الأدب نضجاً عفويّاً جليّاً، ولكَ أن تعلمَ وتتعلّمَ كيف تكونُ الخالقَ النّاطقَ في برعمةٍ أو ماسة!

ومن عَجَبِها، آنَ تفعلُ، وأبداً تفعلُ، أنّها تُلقي في غمرة أنوارها ناراً، لكأنّما هو الوقوفُ بعرفات، بل الجمرُ يقدّسُ في الغطاسِ المياهَ.

ففي كلّ خليّةٍ همٌّ، ويا مَن يُحصي: صحوٌ مغرّبٌ كالنّبوّةِ في وطنها، وبحبوحةٌ حارقة، وطغاةُ السّاعة، وهمّةٌ مكسورةٌ بكُداسةِ الفواتير، وحرّيّةٌ تجوزُ وراء الأبواب المغلقة، وتقاسمُ منقوشةِ صعترٍ في الصّغر دون رغيفِ الوطن في الكبر، وزَحلةُ الأيّام عن الشّعر كأنّه ليس منها، ومواسمُ دخيلةٌ تخنقُ مواسمَنا وتجهّلُ مصيرَ الأرض، وتحريرُ تاريخنا من حَذَرِ المتردّدين حيال الحقيقة الحرّة، وجرائدُ صارت حقيقتُها حقائقَ وحصصاً، ولبنانُ جبرانَ المنزّهُ عن لبنانهم، وبَطلٌ لا يأتي إلى كتبنا والدّفاتر، وحَلْقةُ محرومين كبيرةٌ كبيرة، وسمسرةٌ ورشوةٌ وصَفقاتٌ وغلاءُ كبيرِ المال، ونثرُ وعودٍ على رؤوس الصّامتين، وسَفَرٌ يكسرُ الظّهر..

ولمن يريدُ، فثمّةَ بَعدُ وبَعد..

فما أكثرَ المواجعَ فينا، وأوجعُها– أقولُ قولَها، أنّ المَخفيَّ يضلّلُنا والمُعلَنَ يَخدعُنا!

فكيف لا يكونُ غضبٌ وغضبٌ وغضبٌ؟!

لكنّه الغضبُ الذي من حبٍّ لحبٍّ. الغضبُ الذي يبني، لا الذي يدمّر. الغضبُ المقدّسُ، لا الغضبُ المدنّس.

ولذا، تسأله، ذاك الكبيرَ: باركْ غضبَنا. باركْه حتّى يشعلَه الحبّ. نحن قِلّتَكَ، الغضبُ شعرُ حبّنا، وسرُّ حبّنا انقشاعٌ تحت هذا الضّباب...

فمنقذٌ خلاصيٌّ هو الحبُّ: شمسٌ تَدلُّ الليلَ على النّهار، رحمةٌ لوحشة الجسد، دمعةٌ تغسل الدّنيا، رعشةٌ تهزّ شواهقَ الوهم، محبّةٌ تحمي الأبرياءَ وتجمّلُ الحزانى وتُغمِضُ الجبابرةَ.. تكثّرُ الحياة، تفجّرُ البداية فوق النّهايات.

إنّه هذا: **فجرٌ للغضب**.

إنّنا في النَّقلةِ المجلوّة.

وكذا هُمُ الكبارُ: يبادرون، يقاومون، يقودون...

وهل كان صلاحٌ وإصلاحٌ بلعنٍ ورجم؟!

إنّ الحَقودَ والبَغوضَ علّة. ولا تُعالَجُ علّةٌ بعلّة. فليس لنا إلاّ الحبُّ لغضبٍ يُطلِعُ فجراً.

شكراً نور سلمان

فلأنتِ، وأنتِ تقولين لنا، تقولين عنّا؛... ولكنْ أنّى لنا فنونُ قولِك، وقد ائتزرتِ ببلاغةِ مَن سَاحَ من عَلياء هذا الجبل في رحابِ الظّواهرِ والبواطن، وعانقَ الكلّيات، وخاصرَ الجزئيّاتِ، فكان التّرقّي، وكان البقاء!

خبرة الحياة علّمتنا أن ننظر دائماً إلى فوق، إلى الأفضل، إلى الأعمق. هذا المبدأ صحيح جدّاً. ولكن، من قال إنّ مقاييس الحياة التي علّمنا إياها مجتمعنا المبنيّ على مبدأ «الحياة للأقوى» هي الأصحّ!؟ فهناك اختلاف جوهريّ بين ما نؤمن به، وتعلّمناه، وبين حقيقة الحياة وواقعها... سنحاول معاً أن نفكّر حول بُعد الخبرة الاجتماعيّ، كمثال نستطيع أن نطبّقه على الخبرات السياسيّة، العاطفيّة، الدينيّة، والاقتصاديّة...

الخبرة الاجتماعيّة: من قال إنّ رئيس دولة هو أفضل من إسكافيّ مثلاً. كلاهما يحمل الهدف نفسه: خدمة البشر. ومن قال إنّ المهندس أفضل من العامل، فلو هندس إلى الأبد ولا يد بسيطة تعمل، فالفكر يبقى فكراً والحلم يبقى أملاً من غير واقع. من قال إنّ الذي يُبكي الناس أفضل من الذي يُضحكهم، والذي يبيع النبيذ أفضل من الذي يصنعه، والذي يزرع القمح أفضل من الذي يحوّله خبزاً. من قال إنّنا لسنا حلقة متكاملة: الجميع للجميع والكلّ للكلّ. من قال إنّ مبدأ القوّة الذي يصنع الكبار، وفي وقت لاحق يلغيهم، هو مبدأ صحيح...؟ فنحن نعرف أنّ الموسيقيّ لا يستطيع أن يكون وزيراً، والوزير موسيقيّاً. ولكنّنا نعرف أنّ الوزير، بسلطته، يستطيع أن يصنع من تابعيه «متموسقين» في أيّ لحظة، يعزفون ما يُمتعه، ويؤلّفون ما يتمنّى... ولكنّ هذا الوزير لا يستطيع أن يلغي الموسيقيّ لأنّه من دونه يصبح وزير قبائل تنعم بالطبول، التي لا لحن لها، سوى أحاسيس الوزير نفسها.

نعم! فكلّ رئيس، إذا أراد النوم، يحتاج إلى كرسيّ، وتخت، وسجّادة، وضوء، ولحاف؛ وإذا أراد النهوض، يحتاج إلى منشفة، وفرشاة، وماء، وصابون، وعطور...، وهذه، كما نعلم، تحتاج إلى تعدّد أنواع الناس، الذين هم بدورهم في حاجة إلى رئيس؛ ولذلك، فإنّ في الحلقة التكامل وليس التنافر...

من هنا نفهم بأنّ مبدأ السلطة العمياء التي ترى من غير عيون، وتسمع بآذن الآخرين، وتفكّر من غير عقول، وتتكلّم بانفصال اللسان عن الفكر هي سلطات ميتة أصلاً... وهذه السلطة هي كمن يهتمّ بالهديّة وينسى أنّه وراء كلّ هديّة مُهدٍ... يعطي من قلبه وكيانه وفكره، ساهراً ليلاً ونهاراً.

فكن يا صديقي ما تريد، وما تحبّ، واعلم أنّ الفكر النظيف أفضل من جنون العظمة، والضمير المرتاح أفضل من التبعيّة القاتلة، والصوم والصلاة أفضل من الزحف عند أبواب المتكبّرين، والزهرة التي تقدّم لحبيب أفضل من سلاح يقتل ويمشي في الجنازة، والزهد أفضل من التلوّث بأوحال الخطيئة التي تنسيك ذاتك وتجعلك عبداً لواقع ترفضه، وتغطّي رفضك بقناعات كاذبة.

تستهويهم الأسماء الكبيرة

نحن نعيش في مجتمع غريب جدّاً، لدرجة أنّ السيّد، ولو كانت نفسه نفس عبد، هو الوجاهة. والذي يكتب أحرف مجده على جثث النفوس، يكون قائداً. والذي يضع اسمه فوق كلّ الأسماء، فيذوّب الجميع فيه، لأنّه وحده يجب أن يكون الناجح، وإذا نجح غيره فيجب أن يكون اسمه صغيراً بكبره ليظهر على لائحة عظمته...

غريب المجتمع الذي نعيش فيه. فقيمة الصديق هي على مقدار الحاجة، فإذا كبرت الحاجة غابت الصداقة. وقيمة الحبّ هي على قدر التبعيّة، فإذا تجلّت الحريّة الشخصيّة يوماً دفن الحبّ، وكأنّ الحريّة والحبّ هما عدوّان، في وقت يعلم فيه الجميع أنّ الحريّة والحبّ هما مسيرة الخلود إذا اجتمعا...

غريبة تلك الأسماء التي يرفعها الربّ لتشارك في مجد خلقه وخلاصه، ورويداً رويداً يغيب المجد لتبقى الأسماء. غريبة تلك الأسماء التي ترتفع مستغيثة بإرادة الربّ ونظمه، وعندما ترتفع تذهب الإرادة وتبقى الأسماء. غريبة تلك الأسماء التي تلمع لمع البرق، فتُبهر للحظة ثمّ تغيب في الليل... وكم هو دامس ليل الوجود! غريبة الأسماء التي لا تعرف المضمون، لأنّ المضمون يغيب كلّما كبر الاسم، وما همّ إذا كان كاذباً، المهمّ أن يكون رئيساً... وما همّ إذا كان مرائياً، المهمّ أن يكون مسؤولاً... وما همّ إذا كان خبيثاً، المهمّ أن يكون مديراً... غريبة الأسماء التي يرفعها اللّه، وعندما ترتفع ترتفع على اللّه والإنسان معاً...

كم هي مخيفة تلك الأسماء المخفيّة، أو التي أُجبرت على أن تكون كذلك. كم هي مؤلمة تلك الأصوات التي لا تأتي إلاّ من ضمير، يموت كلّما غاص حامله في النسيان؛ نسيان الهويّة، والهدف، والضعف...

فتذكّر يا صديقي، أنّك لن تعرف أن تكون كبيراً مادام أنّك لا تستمتع بكونك صغيراً، ومادام أنّك لا تعرف حجمك الطبيعيّ...

في النتيجة إنّه لجميل جدّاً أن تكون مُضطهَداً، وليس مُضطهِداً. أن تكون مأسوراً وليس آسراً. أن تكون حرّاً، وليس خسيساً... والخوف أحياناً يولد من الظلام، وأحياناً أخرى من النور، لأنّ النور يزعج من عشعش الظلام الكالح في حياته...

من هي تلك الأسماء، التي تحملها هياكل عظميّة، أبعد ما فيها هو كبرياؤها الفارغ، ونتانة ماضيها، وسفاهة حاضرها، وعدميّة مستقبلها... فلا قلب فيها، لأنّ القلب لا يدقّ حناناً، إنّما يصرخ: هل في الحياة حبّ فعليّ، وأفكار تصرخ: هل في الحياة نيّة طيّبة، وعواطف تسأل: هل حقيقةً في الحياة آخرُ غيرُ ذاتي، ودماغ يدهش؛ هل أنا وجدت لأعبد الشخص الذي يحملني، أم إنّ إمكانيّاتي بقدر حجمي الذي لا يمكنني أن أعبّر عنه... نعم هذه هي الأسماء الفارغة، التي تسحر من لا يعرفها فعلاً، ولا يصفّق لها إلاّ السافه مثلها، ولا يعاشرها إلاّ الزناة وعبّاد الأوثان. نعم هذه هي الأسماء، التي، بدل أن تختار طريق المجد، عبّدت طريق الهوان.

ويبقى لك الخيار، يا صديقي...

من دونك، أنا الجهل، والقهر، والضّعف.

معك، أنا قادر وقويّ.

فأعطني من روحك ومن محبّتك. آمين.

هذه الصّلاة الّتي تمتزج بالصّمت، أليست مرقاةً إلى العلى؟ إلى من وضع المتعالين، ورفع المتواضعين، وكم في عذوبة هذا الكلام من غنى يفوق كلّ مقتنيات الأرض!

وتتوّج هذه الخطب والرّسائل عناوين لافتة هي خلاصة معرفة عميقة لجوهر الدّين، وحقيقة الإنسان، وحضور اللّه في التّاريخ. نقرأ منها: «هل نفهم أمثولة التّاريخ»، أو «هو الرّوح قادهم إلى هذه الدّيار المباركة»، أو «عبور مرحلة الصّحراء»، أو «خادم الكلمة والأسرار والمحبّة»، أو «الفقراء هم خيار الإنجيل». هذه الثّوابت الّتي لا تغيّرها تغيّرات طارئة، ولا تشوّه وجهها غايات بشريّة تجلوها شروح للآباتي إنْ دلّت على شيء، فعلى انصراف كلّيّ للعقل، والرّوح، والوجدان، إلى كلمة اللّه سيراً على خطى الرّاعي الصّالح. أليس بهذا بناء لجسور التّلاقي، كما يقول الآباتي على مستويات أربعة يحدّدها في رسالته: «شهادة المحبّة والخدمة»؟

وهذه المستويات هي:

١- «حوار القلوب السخيّ، أي بالأخوّة».

٢- «حوار الحياة الشّجاع بالعيش بالسّلام والمحبّة».

٣- «حوار الكلام الجريء للدّفاع عن القيم الإنسانيّة، والّذي يصير تعبيراً من اللّه، ومن الإنسان في آن واحد».

٤- «حوار الصّمت الجسور حيث يتكلّم اللّه مباشرة في قلب كلّ واحد من المتحرّرين». إنّه صمت الإيمان الّذي فيه يبدأ وينتهي كلّ حوار حقيقيّ.

هذه النّظرة العميقة الّتي تروي جذور الإنسان، أليست دستوراً لعلاقات النّاس فيما بينهم «حيث الشّهادة هي شهادة الحياة لا شهادة الموت».

ويتخلّل هذا الغوص في أعماق الدّين عناوين ذات طابع فلسفيّ ولاهوتيّ، هي بمثابة دعوة للتّأمّل والتّفكير، وقد صاغها الآباتي بأسلوب تجريديّ حافل بالإيحاء، مشعّ بالرؤيا، الّتي يحتاج إليها كلّ من يسعى إلى لقاء اللّه. وفضلاً عن فنيّة الصّياغة، وأدبيّة النسج، يبلغ الآباتي إلى محصّلاتٍ لاهوتيّة لا يلبث أن يشرحها بأسلوبه الآسر، ونمط كتابته الرّاقي، مازجاً بين أدلّة الواقع وبراهين العقل، وجماليّة التّعبير، وسلاسة الكلام، ما يدلّ على ذائقة أدبيّة رهيفة، وغزارة في الفكر، تتدفّق ينابيعها رقراقة حيناً، وجيّاشة حيناً آخر، ولكنّها عذبة في كلا الحالين، ينهل منها المكرّس، والمفكّر، والشّاعر، على حدّ سواء.

وإن نحن أصغينا إلى الآباتي، في عبور مرحلة الصّحراء، وهو يقول: «وأنا كنت أوّل من عاش هذه التّجربة منذ البدايات، وعبثاً كنت أجهد نفسي بمنطق البشر، لأفهم أبعاد هذه الخطوة في منظار النّاس، فلم أجد الجواب. لكنّ اللّه افتقدني شخصيّاً برحمته، فأدركت ولو بعد زمان، أنّ التّسليم لإرادته تعالى هو الطّريق الآمن لعبور مرحلة الصّحراء هذه. وإنّا مدعوّون، إخوتي وأنا في الرّهبانيّة، لعبورها نحو أرض ميعاد جديد». تأكّد لنا أنّ هذا العبور الميمون الّذي أراده اللّه لمختاريه، قد تحقّقت الغاية منه، فإذا الآباتي وإخوته في الرهبانيّة، قد بلغوا أرض الميعاد الجديد، وها هم يبنون في هذه الأرض مملكة للسّماء.

الــرّســالــة الحقّــة

عبده لبكي

«فـي مـهبّ الـرّوح» لـقـدس **الأباتي فرنسوا عيد**، مجموعة خطب ورسائل، أرادها الآباتي دعوة إلى الالتزام بحقيقة الإيمان، حيث الحديث مع اللّه حالة من النّعمة، تحدّد معالم الهويّة المسيحيّة، من حيث هي ممارسةٌ حياتيّة، وانصرافٌ إلى العطاء بلا مقابل.

وكلام الآباتي في فعل الإيمان هذا، إنّما هو سيرة عمل رسوليّ، من أجل خدمة الإنسان والمجتمع، وذلك في تحدّ مستمرّ لكلّ ما يحول دون بلوغ القمّة.

وإذ يعلن الآباتي أنّه لا يحتكر فعل الإيمان هذا، مؤكّداً «أنّه يعيش مع إخوته بشراكة روحيّة، وعمليّة»، فإنّما لكي تكون الشّراكة مثمرة على مختلف صعد الحياة الروحيّة والعمليّة.

تتجلّى شخصيّة الآباتي في هذه المجموعة، مضيئة بالقيم الروحيّة والفكريّة، بحضور مميّز، وكلمة مسؤولة تاريخيّاً ومصيريّاً، إذ يدهشك في كلامه عمق مرهف، وسعة أفق، وبعد نظر، وشموليّة ثقافة، وصفاء تأمّل، وشفافية روح، وسموّ فكر مسيحيّ، كما يدهشك ذلك العقل النيّر، الّذي بقدرةٍ غير منظورة، يستطيع أن يملأ ثنايا الحياة الماديّة بعظمة الرّوح. ولعلّ الآباتي أراد من خلال «في مهبّ الرّوح» أن يثبت مقولة أن لا فصل بين الحياة اليوميّة، وعلاقة الإنسان بربّه.

وفي خطبته «أمّ الكنيسة والمخلّصين»، يذكّر الآباتي بالدّور الرياديّ الّذي قامت به الرّهبانيّة المارونيّة المريميّة، منذ تأسيسها في خدمة رسالة الكنيسة، إذ إنّ الخدمة هي الهدف الأساس، الّذي يجب أن يسعى إليه من كرّس نفسه للّه.

وتستوقفك للعذراء مريم، صلاة رائعة، بلغ فيها الآباتي ذروة الشّعر المقدّس في مناجاته، الّتي لا ينكسر لها غصن، ولا تذبل لها زهرة، وفي هذا انتصار على كلّ ما يسجن الرّوح في قمقم المادّة، ولحظات الحياة العابرة. فأنت كلّما قرأت عبارة من هذه الصّلاة، قلت في نفسك يجب أن نقتطفها لنسترشد بها معلّقة على دروب الحياة. وكم كان جميلاً تكرار كلمة خدمة في هذه الصّلاة، وقد وردت في أكثر من موضع، وكأنّها هي الكلمة المفتاح في كلّ فقرة، وفي كلّ سلوك. بل لعلّها الكلمة المفتاح في الرّسالة المسيحيّة.

وتتساءل: هل يستطيع قارئ «في مهبّ الرّوح» أن يحيط بجميع صفحاته، وهي تشتمل على لا محدودٍ فكريّ، في أبعاده الإنسانيّة، والاجتماعيّة، والدّينيّة، واللاّهوتيّة، والوطنيّة؟ وسرعان ما ترى نفسك مختطفاً على غمامة من التّأمّل، وأنت تقرأ كلاماً في: «عطيّة الدّم قمّة العطايا» فالرّسول هو حامل النّور الّذي تنفتح أمامه آفاق لامتناهية يعانقها النّور. وفي قوله: «الشّاهد هو حامل الحقيقة» لا بدّ من أن تغوص على الدرّ لاكتشاف العلاقة بين الشّهادة والحقيقة.

أمّا في قوله: «النّور والحقيقة هما صفتان للّه»، فيختصر الآباتي جميع قيم الرّوح، ولا يلبث أن يستنتج قائلاً «المسيحيّ إذن هو حامل اللّه». فما أروعه من استنتاج، وقد بلغ به الآباتي ذروة الإيجاز البليغ: إيجاز صفات المسيحيّ ودوره، وهدف حياته وقيمته وعلاقته باللّه:

«المسيحيّ هو حامل اللّه». وهل يمكن للمسيحيّ أن يكون غير ذلك!

وإذ يتوجّه الآباتي إلى العقل والقلب معاً، نراه مصلّياً بضراعة وشاعريّة تمسّ الأعماق:

يا يسوع

هـ الإمّ

هـَ الإمّ،
يا هالفاتْنة، الْما بْتِنتَسَى.
هـ "الحلوة" اللي،
وجّها المِهيوب،
كَوكَب، هلّ،
عَ مْدار النِّسَا!

ياما التمَعَ لَعْيون..
رَوّى عيون.. ياما،
وْشَعّت اللّفتات..
ياما انْطبَعَ بِقْلوب..
داوَى قلوب.. ياما،
وْرَقّت "النهْدات"!.

هـ "الغالْية"، هيكلَ قداسة.
وْإيدْها بْتِنباس،
"بِنْت النّاس"!
عَ شْفافْها، تْهفّ الصلا:
"بَخّور"، نافح،
مِن نَقا الإحساس!.

مِن مَعْبَدَك، يا حُبّ،
بـ"النّار"، انْسَمَى..
شَمْعَة، عَ إسما،
بـ"وَهْج"، ما بْتِدُوب!
تِضْوي بْجَناني،
فْتُون رَسْما..
وْبالسَما،
تِحْنانْها.. المرغوب!.

لويس ب. نصر

شهادِة.. حُبّ!

بـِ "الحُبّ"،
قَلبي ارْتَفَع...
عَ جْوانْحو الحِلوين!
وِ "الحُبّ"
عَهْد... وْوَفا...
بْيِتْوَهّج ببالي...
"حِلْم"...
وْعَ وِجّي التَمَعَ...
شُوفوا،
يا "عِشْقانين"...
وَهْج الرّجا، والصفا...
بِعْيون آمالي!.
"عُمْر العَذاب..."
انْقَضَى
غَرَّب... بـِ "أوهامي"...
وْ "هَفّت"،
بِطُهْر "الرِّضَى"...
رعشات آلامي!
غَرَّد بروحي... "صَدَى"...
تْهَدْهَد... بـِ "إلهامي"...
وْشَعْشَع سَلام "الفِدا"
عَ رْبوع إيّامي!.

مُستهامَة

أُنظر إليَّ
من علائكَ، حَدِّق...
تَرَ أَمامَكَ غَمْرَ فتونٍ،
وفيضَ حَنانٍ!
يا "ابْنَ آدمَ"،
آنَ تفيءُ إلى رُبوعِ
رُوائي الرَّهيف...
أَبُثُّ الأُنسَ، يُرَوّي العذوبةَ،
في "أَصْغَرَيك"!.

لكَ في الجَوارحِ، يا "مُؤنِسي"،
سُلافاً من الشَّهْدِ
عَذْباً... رَفيقا!
وفي الجَنانِ، جِنانَ هَناءٍ،
وعِطْراً رَحيقا!.
أنا بِكَ، مُسْتَهامَة!
ولكنّي، أراكَ صَدوفاً،
"مُتَزَهِّدا"؟!
أما كَفاكَ، من التَّوحُّدِ، قَدْرا؟!
ومن "الزَّمَنِ الزّاهرِ"... هَدْرا؟!
هُوَذا قلبي،
اسْتَلانَ لِقَلبِكَ، مَهْداً
وَثِيرا!
هُوَذا حُبّي...
وَئيداً، يَؤُجُّ...
ويَنثُرُ حَوْلَكَ
دِفْئاً... وَفيرا!
فأَقْبِلْ لَدَيَّ...
بلا وَجَلٍ، أَقْبِلْ...
يا "بُلْبُلي" الغرِّيد...
يا فاتني!!

مريم

د. منى كرم

إنتي السرِّ الكلُّو نورْ والنُّورِ الملْيانِ عْطورْ
وِالعطْرِ الهادي مْنِ دْهورْ والدَّهْرِ الْعنْوانو زْهورْ
وِالزَّهرِ الْعندِكْ خالدْ ما بْيِطْوي وراقو لِقْبورْ

مريم

قدْ ما بْمجدِك حْكِينا وْعا دْروبو رحْنا وْجِينا
من شمسو نورِ جْنِينا وْعا شْطوطو دْهورِ رْسِينا
ما فينا كلِّ حْروفو نْفِكّا وْنَعْرِفْ أَسرارا
وْلا فينا نُوفِي صْفوفو حقّا وْبَعْدا أَسفارا
عم بِتْشِعُّ وتِحْيِينا

مريم

لا تْخَلِّي الطَّيْشِ الفِينا عنْ مدْرستِكْ يِنْئِينا
يِغْري عْيونِ مْراسينا بِجْيُوبِ النّار يِرْمينا
الدَّمعاتِ العِنّا كْتيرِهْ طَفِّي حرقةْ إيَّاما
الآمالِ عْليكي كْبيرِهْ رَوِّي بَسمةْ أَحلاما
وْخَلِّي شْراعِكْ يحْمِينا

مريم

سلسلة الشأن العام

تشكّل هذه السلسلة منذ انطلاقتها في العام ١٩٩٤، سجلاً وثائقياً للحلقات الدراسيّة التي ينظمّها مكتب العلاقات العامّة في الجامعة حول قضايا الناس وشؤونهم الحياتيّة والاجتماعيّة والسياسيّة والاقتصاديّة.
ومن مزاياها أنها تجمع، الى الأبحاث التي يتولاها الباحث عبدو القاعي أو استطلاعات الرأى التي تجريها مؤسسة "ريتش ماس" باشرافه، أهل الاختصاص إلى أهل الإدارة وذوي المسؤوليّات السياسيّة لمناقشة الهموم الشعبيّة المطروحة.
وذلك يشمل البُنى التحتية في لبنان، وقضايا التربية، والصحة، والمواصلات، والطاقة المائية والكهربائية، والحريّات السياسيّة، والانتخابات النيابيّة، والديمقراطيّة، إلى جانب الشؤون الثقافيّة ودَور الجامعة في معالجة هذه القضايا خدمةً للأجيال الصاعدة من اللبنانيين. وتتوالى هذه الإصدارات، مع كلّ ندوة أو مؤتمر أو حلقة دراسيّة، بحيث باتت تشكّل سجلّا نابضا بالآراء والرّؤى، مُعزّزاً بالإحصاءات، وذلك حول مختلف شؤون الحياة اللبنانيّة وشجونها في السنوات العشر الأخيرة.

General Public Interest Series

Since its first publication in 1994, this series has formed a documentary register for all the seminars and workshops organized by the Public Relations Office at the University and dealing with the concerns of the public and their daily, social, political and economical problems.
One of its advantages is that it gathers researches supervised by Dr. Abdo Kahi, or surveys of public opinion undertaken by Reach Mass Institute under his supervision as well. Also, it gathers specialists with managers, administrators and politicians to discuss the current popular concerns: infrastructure, education, health, transportation, water and electricity, political freedom, parliamentary elections and democracy.
This is in addition, of course, to cultural issues and the role of the university in treating these issues in the service of the upcoming Lebanese generations. These publications are issued with each seminar or conference or workshop and have become a vibrant register of thoughts and visions, which covers an extensive range of statistics of the different aspects of Lebanese life and its problems during the past ten years.

سلسلة الانسانيّات

بدأت هذه السلسلة تسجيلاً لنشاطات جامعيّة في مناسبات أدبيّة، وفكريّة، وثقافيّة، ووطنيّة. ثمّ تطوّرت لتشمل مؤلّفات في الشأن الفلسفيّ، والدينيّ، والتاريخيّ، والعلميّ، والتكنولوجيّ. فلم تعد مقتصرة على الآداب وحدها، أو العلوم دون سواها، بل اتسع أفقها تدريجيّاً إلى رحاب العلوم الإنسانيّة على اختلاف ضروبها وتداخلاتها. وقد حاولنا أن نوزع هذه المنشورات في الإنسانيّات إلى فئات تفصيلية تضم كلّ باب على حدة، فوُفّقنا في بعضها ولم نُوَفّق في بعضها الآخر لأنّه يضمّ أكثر من غرض واحد من الآداب والفنون. ففي بعض هذه الكُتُب شيء من التاريخ، وشيء من الأدب، وشيء من الدين. وفي البعض الآخر شيء من السياسة، وشيء من الاقتصاد والاجتماع. لذا آثرنا أن نُبقيها ضمن التصنيف العامّ في باب الإنسانيات الذي يشمل جميع هذه الأغراض منفردة ومتداخلة.
ومن مزايا هذه السلسلة أنّها لا تقتصر على الشأن المحليّ، بل تتجاوزه إلى مواضيع فكريّة تتخطّى حدود الزمان والمكان، وتناقش وجوه المعرفة على غير معيار من معايير العقل والفنّ والجمال.

Humanities Series

This series was established in order to record all the university activities taking place in literary, intellectual, cultural and national events. It developed to include works of philosophy, religion, history, science and technology. Hence, it is no more confined to belles-lettres, or sciences alone. Its horizon has gradually widened to encompass the human sciences – Humanities – in all their aspects and facets. In the beginning, we tried to divide the publications in this series into detailed categories set distinctly apart. We succeeded with some and failed with others because there was more than one kind of literature and art. Some books deal with history, literature and religion; others, with politics, economics and society. That is why we deemed it appropriate to group them under one general category, "Humanities" which includes all topics individually and collectively. Among the features characterizing this series is the fact that it is not confined to public interest but rather surpasses it to include intellectual topics that transcend spacio-temporal limitations and discusses the facets of knowledge via different aspects of thought, art and aesthetics.

سلسلة المخطوطات اللبنانيّة

يوم قرّرت جامعة سيّدة اللويزة المباشرة نشر مخطوطات لبنانيّة، منذ القرن السابع عشر حتى اليوم، كانت تدرك أن هذا العمل الرياديّ يتطلّب الجديّة والتعمّق والنَفَس الطويل. لكنّها تغلّبت على أسباب التردّد لقناعتها بأهداف متعدّدة لهذا المشروع الكبير. من تلك الأهداف توجيه بعض الأبحاث الجامعية باتجاه إحياء التراث الفكريّ على اختلاف وجوهه الفلسفيّة، واللاهوتيّة، والأدبية، والسياسيّة، والتاريخيّة. ومنها إعادة الاعتبار والتقويم للحركة التنويريّة النهضويّة، والعودة إلى جذورها التاريخية في القرن السابع عشر وحركة التأليف التي انطلقت من لبنان إلى المشرق العربّي على أيدي علماء وباحثين من رجال دين ودنيا نذروا أنفسهم في سبيل البحث عن المعرفة والحقيقة وأسباب العلم والإيمان.
وخوفاً من ضياع هذا التراث، كانت المباشرة بنشر مخطوطات مختارة في مواضيع مختلفة لا يجمعها سوى البحث عن دور العقل الخلاّق في سلوك الدروب الفكريّة المنتهية إلى الله عن طريق المنطق، والعلم، والحريّة، والآداب، والأخلاق، والثقافة المستنيرة. بدأ هذا المشروع في العام ٢٠٠١ بمعدّل مخطوط واحد في السنة الواحدة. وسيتوالى نشر هذه المخطوطات تحقيقاً للأهداف المذكورة أعلاه. ففي هذه الخطوة اللافتة تكتشف الجامعة نفسها يوماً بعد يوم، وكتاباً بعد كتاب.

Lebanese Manuscripts Series

When the university decided to venture into the publication of Lebanese manuscripts dating from the 17th century up till today, it was aware that this pioneering endeavor would require much perseverance, research and patience. But it has overcome all impediments and causes of hesitation because of its belief and conviction in the goals of this enormous project.
One of the goals is to steer some university researches towards reviving the intellectual heritage on different levels: philosophy, theology, literature, politics, and history. The other is to revive the Renaissance Enlightenment and to return to its historical roots in the 17th century. The project intends to shed light on the scholarship which spread from Lebanon to other parts of the Orient through the studies of scientists, researchers, scholars and clergy who devoted themselves to the quest for knowledge and truth in the causes of science and faith. Therefore, lest this heritage be lost, we began the publication of chosen manuscripts on different subjects, which have nothing in common but the search for the role of the innovative and creative mind on the road that leads it to God via the trails of logic, science, freedom, literature, ethics and knowledge. This project was established in 2001 with an average of one manuscript per year, and publications will carry on in the framework of the above goals. Furthermore, it is through this courageous step that the University is confirming its unique identity day after day, book after book.

سلسلة المقرّرات الجامعيّة

رغم أنّ معظم مقرّرات جامعة سيّدة اللويزة تعتمد المؤلّفات المتخصّصة والمنشورة في الولايات المتحدة الأميركيّة فقد أخذت الجامعة بمبدأ التأليف والنشر المحليّين، وذلك: أوّلاً: إذا كانت المادّة تتعلّق مباشرة بموضوع لبنانيّ، أو عربيّ، أو مشرقيّ، بحيث يأتي التأليف المحليّ أقرب إلى الواقع الاجتماعيّ والثقافي والبيئي، وأكثر تفهّماً للمصادر الأوّليّة الأساسيّة حول الموضوع؛ وثانياً: إذا كانت المادّة العلميّة العامة، التي تصح في كلّ مكان وزمان، تعاني من أمثلة تطبيقيّة خارجة عن بيئتنا، وتراثنا، ومشكلاتنا الاجتماعيّة والثقافيّة، فتأتي هذه المقرّرات الصادرة عن جامعة سيّدة اللويزة مراعيةً لتطبيقات وأمثلة مستمدّة من مجتمعنا، وأرضنا، والوطن.
وتعالج هذه المؤلّفات مواضيع في العلوم الرياضيّة والاقتصاديّة والهندسيّة والإعلاميّة، إلى جانب الشؤون السياحيّة والفندقيّة وتطبيقاتها في لبنان والشرق الأوسط. وهي تحاول سدّ فراغ في بعض المقرّرات الجامعيّة في لبنان.

University Textbooks Series

Despite the fact that most of the textbooks used in Notre Dame University (NDU) are of a specialized nature and are published in the United States, the University has adopted the practice of local writing and publication in the following cases: First, if the material is directly related to a Lebanese or Arab or Oriental topic, since in such a case the writing will be closer to the social, cultural and environmental situation, and more related to the main sources of the subject. Second: if the general scientific material, which is more or less universal, is presenting applications that are within the scope of our environment, heritage, and social and cultural problems.
From here, these textbooks published by NDU are designed to be adapted to applications and examples based on our society, our land and our country. They also deal with various topics of science, mathematics, economics, architecture, engineering, media, and hotel and tourism with special consideration for their applications in Lebanon and the Middle East. Moreover they endeavor to bridge the gap left by some university textbooks in Lebanon.

٢٠٠٣
المنشورات
منشورات جامعة سيدة اللويزة
لبنان
NDU
Notre Dame University Press
Lebanon
Publications
2003
Catalogue

من منشورات الجامعة

سلسلة الشأن العام

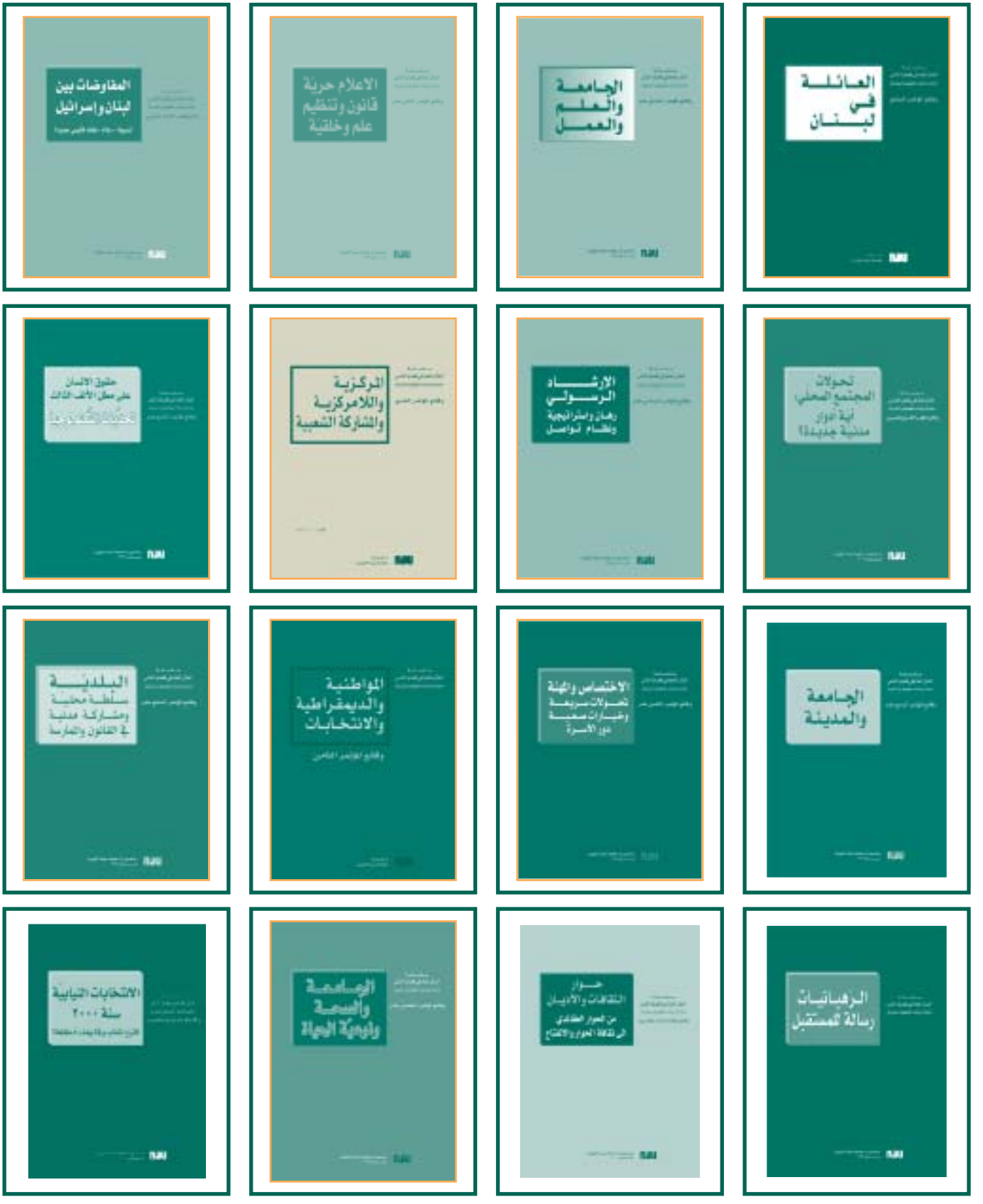

سلسلة الإنسانيّات

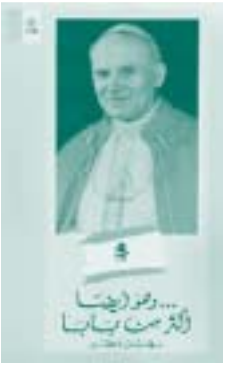

سلسلة الشأن العامّ

سلسلة المخطوطات اللبنانية

سلسلة المقرّرات الجامعيّة

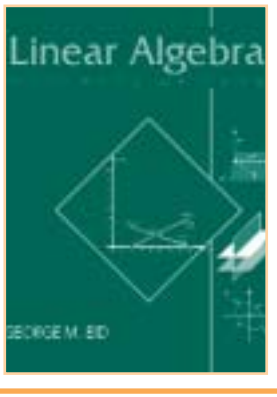

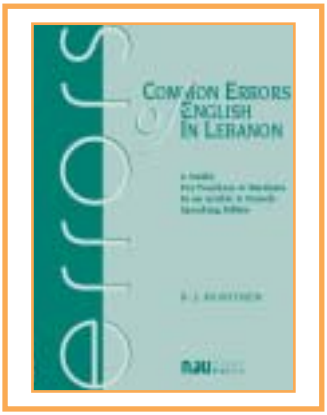

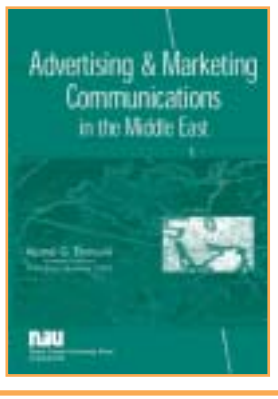

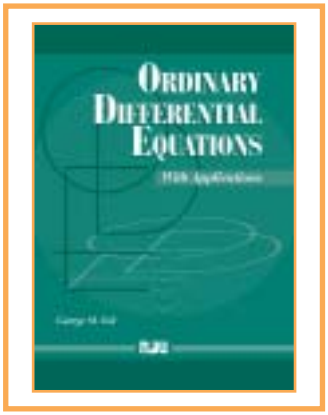

سلسلة الإنسانيّات